مكتبتنا العربية

٧٦

مجلة الأزهر

تصدرها مشيخة الجامع الأزهر الشريف

مكتبتنا العربية

مجلة الأزهر

المجلد الثامن عشر

مدير المجلة ورئيس تحريرها
محمد فريد وجدي بك

الاشتراك السنوي

ثمن العدد ... مليما

الإدارة العمومية : بمبنى الإدارة العامة للأزهر ... القاهرة

مكتبتنا العربية

فهرس

[illegible] — المجلد الثامن عشر

الموضوع	القلم	صفحة
[illegible]	»	٥٩٣
[illegible]	»	٥٩٣
[illegible]	فضيلة الأستاذ الشيخ عبد الجواد رمضان	٥٩٧
[illegible]	»	٥٩٩
[illegible] الأزهر	»	٥٩٩
[illegible]	فضيلة الأستاذ الشيخ محمد [illegible]	٦٠٤
[illegible]	حضرة صاحب العزة [illegible]	٦٠٥
[illegible]	فضيلة الأستاذ الشيخ طه الساكت	٦٠٩
[illegible]	» » » عبد العزيز المراغي	٦١٤
[illegible]	» » » عبد الحميد عنتر	٦١٨
[illegible]	» » » عبد المتعال الصعيدي	٦٢١
[illegible]	» » » كامل عجلان	٦٢٨
[illegible]	حضرة الأستاذ [illegible]	٦٣٣
[illegible]	» [illegible]	٦٣٦
[illegible]	» [illegible]	[illegible]
[illegible]	فضيلة [illegible]	[illegible]
[illegible]	» [illegible]	[illegible]
[illegible]	» [illegible]	[illegible]
[illegible]	» [illegible]	[illegible]
[illegible]	» [illegible]	[illegible]
[illegible]	» [illegible]	[illegible]
[illegible]	» [illegible]	[illegible]
[illegible]	» [illegible]	[illegible]
[illegible]	» [illegible]	[illegible]

مكتبتنا العربية

بسم الله الرحمن الرحيم

عيد الجلوس

احتفال الأزهر بعيد جلوس جلالة الملك

حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ عبد الجليل عيسى شيخ كلية أصول الدين يلقى كلمة قيمة

احتفل الأزهر فى يوم الاثنين ٥ من شهر مايو بعيد جلوس حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم فاروق الأول ، فأم المسجد فى الموعد المقرر بعض رجال الدولة وكبار الموظفين وعلية العلماء ونجباء الطلاب بدعوة من حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الكبير الشيخ عبد الرحمن حسن وكيل الجامع الأزهر ، فلما اكتظ الرواق العباسى بالمحتفلين وتهيأت الأسماع لقبول ما يلقى فى هذا المقام نهض حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ عبد الجليل عيسى وألقى كلمة جامعة فى مناقب حضرة صاحب الجلالة قوبلت بالاستحسان العام ، وعقبه حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ المحترم الشيخ عبد الجواد رمضان فأنشد قصيدة من بديع الشعر كان لها أثر بالغ فى النفوس ، ثم انتهت الحفلة بترديد الدعاء لحضرة صاحب الجلالة بأن يؤيده ويتم نعمته عليه . وانصرف الناس معجبين بما لقوا من حفاوة ، وما سمعوا من بيان .

وهذه هى كلمة صاحب الفضيلة شيخ كلية أصول الدين

أيها السادة :

منذ أحد عشر عاما سعدت هذه البلاد بتولى الملك فاروق الأول سلطته الدستورية ، بعد أن حُرمت من أكفأ ملك من ملوك الأسرة العلوية بعد محمد على واسماعيل ، هو المغفور له الملك فؤاد الأول ، طيب الله ثراه .

واشرأبت الأعناق وتطلعت العيون الى الملك الشاب لترى كيف يضطلع بأعباء الملك فى محيط الملك الواسع الذى خلفه والده العظيم ، ولم يطل تطلع الناس ولا ترقبهم ، فقد تحدّث الملك الشاب الى شعبه حديثا رسم فيه دستور الملك فى بيان لا عهد للشعب بمثله .

ألقاه على شعبه يوم تولى سلطته الدستورية ، ولا يزال صداه فى الأذهان ، ولا تزال آثاره فى النفوس ، فقد كان عهدا كريما من ملك كريم ، وتوجيها قويا من ملك قوى ، ودرسا وطنيا من ملك وطنى ، يضع الوطن فى المقام الأول ، ويرتب المواطنين فى رحاب عطفه بقدر تعلقهم بهذا الوطن وإفادتهم له ، وحدبهم عليه ، وتضحيتهم فى سبيله .

هذا الملك الشاب قال لشعبه حين تحدث اليه :

« أعاهدكم على وقف حياتى وجهودى على سلامة البلاد ، وإعزاز شأنها ، وإعلاء كلمتها ، وإسعاد أهلها . أبناء مصر جميعا ملك للوطن ، كلهم جنوده وكلهم خدامه ، ومليككم أول خادم للوطن ، أحبكم اليه أشدكم رعاية لواجبه ، وأكرمكم لديه أكثركم تفانيا فى خدمة الوطن » .

ألا بارك الله فى الملك الشاب ! فقد شرح صدر شعبه من اللحظة الأولى ، وأتاح له أن يفخر بملكه ، وأن يتيه به إعجابا ؛ فقد ذكّر الناس بفجر الاسلام حين كان الخليفة يعلن فى الناس سياسته ، ويعرض عليهم خطته ، بمثل هذه القوة ، وبمثل هذا الحزم والعزم ، وبمثل هذا الأسلوب الكريم فى إنكار الذات والإشادة بحق الوطن .

ومنذ ذلك الحين حمل الملك الشاب أعباء الملك ، فأداها أمينا على حقوق الوطن ، غيورا على كرامته ، حريصا على نفعه وإسعاده .

تطلع الناس للملك وإذا بمحيط المُلك الواسع الذى خلفه المغفور له الملك فؤاد لا يتسع لآمال الفاروق الطموح ، فأخذت آماله تتسع وتتسع حتى شملت كل نواحى الحياة المصرية ؛ فما وجدنا عملا نافعا للوطن إلا والفاروق صاحب وحيه ، ولا عاملا منتجا للوطن إلا والفاروق قد خصه بعطفه . ثم سمت

آماله نحو تقوية الروابط بين الأمم العربية والاسلامية فتحقق فى عهده السعيد ما كان يظنه الناس حلما ، وأصبحت الجامعة العربية حقيقة لها كيانها ولها احترامها .

والملك فاروق - أيها السادة - ملك ديّن ، طيب النفس ، مرهف الحس ، ينسى الملك وتقاليد الملك حين يدعوه داعى الإنسانية ؛ ولقد فعل ذلك حين أسرع إلى المرضى فى الصعيد يوم عيد ميلاده السعيد ، ليرضى ربه ونفسه بمواساتهم والعطف عليهم ، وليضرب المثل فى معاملة البائس والفقير والمريض للذين لا يحسنون معاملة البائس والفقير والمريض ؛ وينسى الملك وتقاليد الملك حين يدعوه داعى الوطن ؛ ولقد فعل ذلك حين اضطربت الأمور أيام العلمين وتناقل الناس أن الفاروق سئل عما يمكن أن يعمل إذا اجتيحت البلاد فقال : لا شيء إلا أن أكون مع شعبي ألقى ما يلقى ، وأقاسى ما يقاسى ، والله لى ولهم !

لقد ملأ الله قلب الفاروق بحب شعبه حبا ملك عليه مشاعره ؛ فهو لا يترك فرصة دون أن ينتهزها لإرضاء حبه لشعبه ، ولا يترك فرصة للتوجيه إلى الخير ولا للتشجيع على الخير إلا انتهزها .

فهو لشعبه مثل أعلى . وما المناسبات التى يخلقها خلقا لشعبه ، وفتح أبواب قصوره لطبقات الشعب على اختلافها ، يواكلهم ويحادثهم ، ويوجههم ويشجعهم ، إلا بعض علامات هذا الحب الخالص لله وللوطن .

والملك فاروق - أيها السادة - محب للعلم والعلماء ، يحترمهم ، ويخصهم بعطفه وتقديره ؛ وقد ضرب مثلا كريما فى احتفال الجامعة المصرية حين ترددوا فى البرنامج ليتفادوا أن يقف جلالته فترة من الزمن ولم يجدوا سبيلا إلا أن يرفعوا الأمر لجلالته ، فقال : لا تحدثوا تغييرا فى البرنامج ، وإنى لتطيب نفسى أن أقف إجلالا للعلم والعلماء !

وهكذا لا يمر يوم إلا وللفاروق موقف كريم يدل على حرصه على سعادة الوطن وإسعاد المواطنين ، ولم يقصر نشاطه على مصر وحدها ، فله فى أمم الشرق مكانته ، وله آثاره الطيبة فى قضاياهم العامة ، وفى توثيق الروابط توثيقا جعل مصر بحق زعيمة الشرق ، وجعل الفاروق بحق مناط الأمل ، وموطن الرجاء.

مكتبتنا العربية

ولا يفوتنى فى هـذا الحفل المبارك أن أفاخر بأن للأزهر والأزهريين من عطف جلالة الفاروق وعنايته نصيبا كبيرا .

ذلك أن الفاروق مؤمن بأن لرسالة الأزهر أثرها البالغ فى تقوية النفوس وشد العزائم . وقد ظهر ذلك جليا بما أنشىء فى عهده السعيد من المعاهد الدينية فى شبين الكوم وقنا وسوهاج ، وما سينشأ فى هذا العام فى جنوب الوادى ، إذ رأى — حفظه الله — أن ينشأ معهد كبير فى مدينة الخرطوم يكون تابعا للأزهر مستظلا براية الفاروق ، ليتساوى أبناء شعبه جميعا فى بره وعطفه ، كما تساووا فى التعلق به والإخلاص لعرشه .

ومن آثار إيمان جلالته برسالة الأزهر ، ما أرسل فى عهده السعيد من البعثات الدينية إلى جهات نائية ، ثبتت حاجتها إلى الهداية .

وكان أقربها عهدا وأقواها أثراً رحلة أحد أساتذة كلية أصول الدين الى شرق إفريقيا هـذا العام لمحاضرة المسلمين هناك باللغة الانكليزية عن الاسلام ، ودفع ما يثيره المبشرون الاوروبيون والامريكيون فى نفوسهم من الشبهات حوله ، فكانت رحلة ناجحة موفقة بفضل الله وإخلاص الفاروق .

ومن آثار ذلك أيضا عنايته — حفظه الله — بأبناء المسلمين الذين يفدون الى الأزهر من أمم مختلفة ومواطن مختلفة وأجناس مختلفة ولغات مختلفة ، فيخرجون من الأزهر جميعا بوحدة فى اللغة ، ووحدة فى الاتحاد فى الحياة ، ووحدة فى العلائق البشرية ، فيزكو بذلك ما كان عندهم من إيمان بإله واحد وبرسول واحد هو خاتم الأنبياء والمرسلين ، صلوات الله وسلامه عليه . ثم بعد ذلك يتفرقون الى بلادهم ويتصلون بشعوبهم ، لكن على أن يبقوا وحدة ودعاة أخوة ، ولسان صدق للفاروق ولأزهر الفاروق .

ولا يفوتنى أن أفاخر أيضا بأن أبناء الأزهر علماءه وطلابه يتطلعون الى المزيد من عطف الفاروق على الأزهر ، ويتطلعون الى المزيد من عناية الفاروق بالأزهر . وإن الأزهر لفى حاجة الى هذا العطف وتلك العناية ؛ فهو رمز القومية فى هذا البلد ، وما أحوجنا الآن الى إبراز قوميتنا والاعتزاز بها !

أيها السادة :

لا يتسع المقام لبيان أيادى الفاروق على شعبه فى مثل هذا الموقف ، فأياديه متعددة متجددة . والملك فاروق على حداثة سنه أب لهذا الشعب كله يحبه ويرعاه ويعمل له .

حفظ الله الملك لشعبه المتعلق به ، وسدد خطاه ، وحقق آماله الواسعة فى إسعاد الشعب وإسعاد البلاد ! آمين ؟

وهذه قصيدة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ عبد الجواد رمضان

عيد الجلوس الملكى الفاروقى

سنة ١٩٤٧

يوم نقدسه ، وعيد أزهر ... سعدت به مصر ، وعز الأزهر
فاروق يشرق فى سماء جلاله ... والسعد فى قسماته يتنور
عيد الجلوس ، وما أبرّ صباحه ! ... عيد يتيه به الزمان ويفخر
أرسى المليك به قواعد ملكه ... شمّاء تشرق بالجلال فتبهر
وأقام عرشا راح دون مناله ... كسرى أعز المالكين وقيصر
ملك تجلى الله فى إبداعه ... العلم من أركانه والمنبر
والدين والدنيا لديه تلاقيا ... فكلاهما فيه ربيع مزهر

* * *

يمنى المليك على البلاد سحائبٌ ... البر من جنباتها يتحدّر
العلم أكرمه ، فعز رجاله ... وصفت موارده ، وطاب المصدر
هذى مدارسه عليه شواهدا ... غرّاء تفصح عن سناه وتسفر
زخرت بأرسال الشباب صوارما ... فى نصرة الوطن المقدس تشهر
فى كل مضطرب جديدٌ ناهض ... وبكل متجه صنيع يؤثر

* * *

مكتبتنا العربية

والدين آزره ، فأشرق وجهه ومضى يقيم الصالحات وينشر
تحيي بشاشتُه القلوبَ فتزدهي ويجود نائله النفوس فتطهر
ويصيح في وجه الهوى فيرده خزيان ، في أذياله يتعثر
وعصابة جهلوا فضائل دينهم فعدوا على حرماته ، وتنكروا
ردت قوارعُه غوارب حلمهم جثوا على أبوابه واستغفروا
ومغرَّرين تقحموا بُلدانه قالوا : بآداب المسيح نبشر
زعموا الضلال الى الرشاد وسيلة رباه ! هل بلد الرشادَ المنكر ؟
جل المسيح عن الرذيلة تحتمي في ظله ، وهو الرسول الأطهر
فاروق أنقذَ شعبه وبلاده من نيرهم فتحررت وتحرروا
مسعًى مضى فيه فؤاد قبله وسما وأكمل سعيَه المتأخر
وشريعة لمحمد أعلى بها عرش الكنانة وهو خاوٍ مقفر
لو ينشر الموتى لضاعف فخرَهم فاروق يقتحم الخطوب وينصر
وأقر عين المجد أنّ تراثهم يحويه ميمون النقيبة قسور

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

* * *

الأزهر الموفي على دين الهدى الخالد المجد الذي لا يقهر
يجزي المليك بما أفاض عليه من برٍ ، ويجأر بالدعاء ويجهر
نهضت معاهده ، وهبّ رجاله هذا يمجده ، وهذا يشكر
صدق الولاء شعارهم ، فقلوبهم بولاء فاروق المفدَّى تزخر
لا زال فياض المواهب ، عرشه يزهى ، وعيد جلوسه يتكرر

مكتبتنا العربية

احتفال الأزهر
بذكرى المغفور له الملك فؤاد الأول

حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الكبير وكيل الأزهر

يلقى فيه كلمة جامعة

فى يوم الاثنين ٢٨ من إبريل سنة ١٩٤٧ احتشد فى فناء كلية الشريعة عدد كبير من الوزراء والعظماء وكبار العلماء والوجهاء والطلاب النجباء احتفالا بذكرى وفاة المغفور له الملك فؤاد الأول، ولما غص السرادق بالحاضرين وساد السكون نهض حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الكبير الشيخ عبد الرحمن حسن وكيل الجامع الأزهر فألقى خطابة جامعة استوعب فيها تاريخ المغفور له الملك المتوفى، فى إيجاز موف بالمرام، واستيعاب مناسب للمقام، كان لها أحسن وقع فى النفوس والأسماع.

ثم عقبه حضرة الأستاذ الفاضل الشيخ محمد مختار بدير المدرس بكلية أصول الدين فأنشد قصيدة قوامها مائة وعشرون بيتا سرد فيها تاريخ الملك الراحل لم يترك صغيرة ولا كبيرة من تاريخه الحافل إلا أحصاها. وإنا سنجتزىء منها بأبيات معتذرين بضيق المقام. وقد نالت هذه القصيدة استحسان المحتفلين وإعجابهم.

إلى القارئين الخطبة القيمة التى ألقاها حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ عبد الرحمن حسن وكيل الأزهر:

* * *

مرت بمصر حقبة من الزمن فى تاريخها الحديث كانت من أعنف الأيام وأشدها وطأة على المصريين. علم الحماية يرفرف على ساريتها، والأحكام العرفية تبسط سلطانها فى جميع أنحاء البلاد، والأمة المصرية تعانى شتى المتاعب من مستلزمات الحرب وأعبائها، وهى حرب لا ناقة لها فيها ولا جمل. إبان هذه الأيام العصيبة تولى المغفور له الأمير أحمد فؤاد عرش مصر فى ٩ اكتوبر

مكتبتنا العربية

سنة ١٩١٧ ، وتقدم إلى حمل العبء بقلب مملوء بالإيمان بأن الله سيعينه ويؤيده حتى يصل بالسفينة الى بر السلام .

أعلنت الهدنة ، وتنفس المصريون ، ووجدت الحركة الوطنية مخرجا الى الظهور ، فغذاها السلطان فؤاد ونفخ فيها من قوة نفسه روحا قوية نشطة أحس معها القادة أنهم هم وسلطانهم قوة واحدة ووحدة لا يمكن الغاصب أن يجد فيها منفذا . وقد تجلت هـذه الوحدة فى الموقف الوطنى الحازم الذى وقفه السلطان فؤاد مع اللورد ملنر وقد حاول أن يجد بين المصريين من يفرق بين وحدتهم فلم يفلح ، إذ قال له « إنى فى مقدمة من يسعى لتحقيق استقلال بلادى ، وإنى أشد تأييدا للأمانى الوطنية » .

وقد اضطرت الحكومة الانجليزية أمام هذه القوة ، قوة الأمة التى يرعاها السلطان فؤاد ويديرها بالحكمة والكياسة ، أن تعدل سياستها بمصر ، فسافر اللورد اللنبى الى انجلترة بعد مفاوضته مع المرحوم ثروت باشا ، وقدم الى حكومته المقترحات التى رآها ومعها استقالته لتختار أى الأمرين ، ثم عاد الى مصر . وفى ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ أعلنت انجلترة أن الحماية على مصر قد انتهت ، وأن مصر دولة مستقلة ذات سيادة ، واحتفظت لنفسها بأمور أربعة ، وهى تأمين المواصلات الامبراطورية البريطانية بمصر ، والدفاع عن مصر ضد أى تدخل أو هجوم أجنبى ، وحماية الأقليات ، ومصالح الاجانب فى السودان .

وعلى هذا أعلن الملك فؤاد فى ١٥ مارس ١٩٢٢ استقلال مصر بالنطق الكريم الآتى :

« الى شعبنا الكريم ، لقد من الله علينا بأن جعل استقلال البلاد على يدنا . وإنا نبتهل الى المولى بأخلص الشكر وأجمل الحمد على ذلك ، ونعلن على ملأ العالم أن مصر منذ اليوم دولة متمتعة بالسيادة والاستقلال ، ونتخذ لنفسنا لقب صاحب الجلالة ملك مصر ليكون لبلادنا ما يتفق مع استقلالها من مظاهر الشخصية الدولية وأسباب العزة القوميـة . وها نحن نشهد الله ونشهد أمتنا فى هذه الساعة العظمى أننا لن نألو جهدا فى السعى بكل ما أوتينا من قوة وصدق عزم لخير بلادنا المحبوبة والعمل على إسعاد

شعبنا . وإنا لندعو المولى القدير أن يجعل هذا اليوم فاتحة عصر سعيد يعيد لمصر ماضيها المجيد » .

أعلن الاستقلال للدول ، فاعترفت به ، وشعرت مصر بحيويتها ، وتبوأت مكانها بين الدول مرفوعة الرأس . وقد نجح السلطان فؤاد فيما وطن نفسه عليه منذ تولى عرش مصر من إلغاء الحماية وتخليص مصر من براثن الأسد البريطانى وجعلها دولة مستقلة .

حدث بعد هذا أزمة ، وكانت أزمة حادة بين مصر وانجلترة ، بخصوص وضع نص فى الدستور يتعلق بالسودان . ولكن الملك فؤاداً طيب الله ثراه بما وهب له الله من واسع الحكمة وحسن السياسة أمكنه أن يتجنب هذه الأزمة مع الاحتفاظ بحقوق مصر فى السودان كاملة غير منقوصة . ومع ما نص عليه فى المادتين ١٥٩ و ١٦٠ من الدستور من إثبات هذه الحقوق فان اللقب الذى اتخذه جلالته وجعله شعاراً يتوج به مكاتباته للملوك وهو أنه : ملك مصر وصاحب بلاد النوبة والسودان وكردفان ودار فور ، وهو اللقب الذى لايزال يستعمل الى الآن - صريح فى أن ملك مصر هو ملك السودان ، وأن وادى النيل كله واحد تحت تاج واحد .

كان من آثار الاستقلال أن تولت الأمة شئون نفسها بعد الاستغناء عن معظم الأجانب فى الوظائف ، وسارت الحكومة مسترشدة بآراء مليكها المعظم وحسن تدبيره بخطى واسعة فى إصلاح شئون المملكة فى شتى مرافقها وكانت خطى محمودة موفقة .

وكان للتعليم وهو سلاح الأمم وعدتها ، أثر ظاهر فى رقى الأمة وتقدمها فى عصر الملك المصلح المعظم فؤاد الأول ، أحسن الله مثواه . فقد ارتفعت فى مدته نسبة المتعلمين من ٦ ٪ الى ١٨ ٪ حسب إحصاء سنة ١٩٣٧ ، وهى السنة التالية لسنة وفاته . أما نسبة المتعلمين من الذكور فقد ارتفعت الى نحو ٢٦ ٪ وكان لجلالته عناية خاصة بالتعليم الدينى ونشره بين طبقات الأمة وتبليغ رسالة الاسلام إلى الأمم لتعرف ما فيه من خير وصلاح للناس . ولهذا وجه عنايته إلى إصلاح الأزهر ودعمه بالأسس الصالحة التى ترتفع

مكتبتنا العربية

بالتعليم فيه إلى المستوى الذى يساير فيه النهضة العامة ويقويها ، وذلك ليتمكن من أداء رسالته على الوجه الأفضل .

وكان أول مظهر من مظاهر اعتزازه بالأزهر ، تلك الزيارة الكريمة التى كانت فى ٢١ اكتوبر سنة ١٩٤٥ عقب توليه العرش وإغداقه الخير العظيم على طلاب الأزهر فى هذه الزيارة ؛ فقد تبرع بألف جنيه . وفى ١٠ يونيه سنة ١٩١٨ صدر أمره الكريم بترتيب جائزة سنوية للطالبين الأولين اللذين يحوزان قصب السبق فى امتحان العالمية ، وهى الجائزة التى توزع اليوم إن شاء الله و هذا الحفل على الطالبين المتفوقين فى امتحان الشهادة العالية فى كل كلية من الكليات الثلاث . وأصدر عدة قوانين متعلقة بالأزهر من سنة ١٩٢٠ الى سنة ١٩٣٠ منها القانون رقم ٣٣ سنة ١٩٢٣ الذى أنشئت به أقسام التخصص فى الفقه والأصول والتفسير والحديث والتوحيد والمنطق وعلوم اللغة العربية والتاريخ الاسلامى والقضاء الشرعى ، والتخصص كالدكتوراه فى الجامعات .

وفى سنة ١٩٢٥ أشار بتأليف لجنة لإصلاح الأزهر إصلاحا شاملا وأخيراً صدر القانون رقم ٤٩ سنة ١٩٣٠ المعدل بالقانون رقم ٢٦ سنة ١٩٣٦ حيث نظم به الأزهر تنظيما جامعيا ، وأدخلت فيه اللغات الاجنبية وبعض اللغات الشرقية .

وقد وضع على أساس الاحتفاظ بالتراث الفكرى الاسلامى ، والعناية بفهم ما فيه من كنوز وذخائر ، مع مسايرة روح العصر ، بما يقره الدين ولا تأباه التقاليد الصالحة .

وكان من آثار هذه النهضة المباركة فى الأزهر فى عهد الملك فؤاد ، تلك النهضة الاصلاحية التى غذاها ورباها ونماها ، أن تضاعف عدد الخريجين من العلماء فى هذا المعهد السعيد .

فقد تخرج فى هذا المعهد ٤٥٤٠ عالما ، منهم ٢٩٧ من البعوث الاسلامية ، و ٣٧٦ متخصصون فى الفنون المختلفة ، بينما تخرج فى مثل هذه المدة قبل تولى جلالته العرش من سنة ١٨٩٩ الى سنة ١٩١٦ : ٨٤٥ عالما ، منهم ٧ من البعوث الاسلامية .

كذلك عنى جلالته – أكرم الله مثواه – بارسال عدة بعثات من العلماء إلى جامعات انجلترة وفرنسا والمانيا ، وإرسال بعثات من العلماء إلى بعض الممالك الأجنبية لنشر الثقافة الاسلامية وإرشاد الناس إلى ما فى الاسلام من هدى ونور وصلاح للأفراد والجماعات . وخطا الأزهر فى ذلك خطوات واسعة إلى الامام . وكثرت بعد ذلك بعوث الأزهر فى الجامعات ، وساهم الأزهر فى الاشتراك فى المؤتمرات الدينية والقانونية ، وكان له فخر عظيم فى المؤتمر الدولى للقانون المقارن المنعقد فى لاهاى سنة ١٩٣٧ حيث أصدر المؤتمر قرارين خطيرين فى الشريعة الاسلامية ، ينص أحدهما على أن الشريعة الاسلامية شريعة مستقلة كل الاستقلال ، ولا يمكن أن تكون قد اقتبست أو استمدت من القانون الرومانى – تلك الدعوى التى طالما تحدث بها المستشرقون ؛ وينص الثانى على أن الشريعة الاسلامية تحمل العناصر الكافية التى تجعلها صالحة للتطور مع حاجة الزمن والمدنية . وقرر جعل اللغة العربية إحدى لغات المؤتمر .

وفى الحق أن المغفور له الملك فؤاد الأول كانت له عناية بالأزهر لا تقف عند حد . ولو ذهبنا نعدد مآثره فى الأزهر من إنشاء المعاهد وأبنيتها الفخمة وتخصيص مئات الألوف من الجنيهات لانشاء أبنية الجامعة الأزهرية ، وارتفاع ميزانية الأزهر الى مئات الألوف من الجنيهات ، وغير ذلك من الشئون ، لما وسعنا هذا المقام . وإنما يعنينى أن أذكر مسألة واحدة تدل على ما كان يملأ قلبه الطاهر من حب الأزهر ورفعة شأنه ؛ فقد قال المغفور له الشيخ محمد مصطفى المراغى وهو فى حضرته : « إنى رأيت من رجال الدين فى الفاتيكان رجالا يصلحون لأن يكونوا وزراء وسفراء وحكاما ، وإنى أتمنى أن يجىء اليوم الذى أرى فيه علماء الأزهر قد هيئوا لمثل ذلك » .

نعم ! الملك فؤاد يتمنى أن يكون من علماء الأزهر وزراء وحكام وسفراء . أمنية عظيمة من ملك عظيم للأزهر مفخرة مصر ومفخرة العالم الاسلامى .

ولئن كان قد حقق الله بعض هذه الامنية حيث أنجب الأزهر وزيرين ، فانا نرجو الله تعالى أن يكمل هذا الرجاء فينجب الأزهر وزراء وحكاما وسفراء .

ازداد المرض على الملك فؤاد فى أيامه الأخيرة ، وأخذت النشرات الطبية تتوالى تطمئن مرة وتزعج أخرى ، الى أن كان يوم ٢٨ ابريل سنة ١٩٣٦ حيث أصبح جلالته وقد أحس من نفسه القدرة على العمل فلم يتوان ، فتحدث فى بعض الشئون ، وأمضى بعض الأوراق والمراسيم ، ولكنه بينما كان يقرأ رسالة الفاروق وقد وردت اليه بالبريد الطيار ، واذا الرسالة تهتز وتملت من بين يديه وأسبل الستار ، وإذا صوت القدر يدوى فى أرجاء الكون : مات الملك فؤاد ، وليحى الملك فاروق !

وهذه أبيات من قصيدة فضيلة الأستاذ المحترم الشيخ محمد مختار بدير

هى الذكرى نجددها دواما ... لأحمد بيننا عاما فعاما
نجددها معطرة تحاكى ... أريج المسك أو نفح الخزامى
وننشرها على الآفاق نورا ... كضوء الشمس فى الدنيا ترامى
نضئ بها السبيل لمستنير ... ونجلو عن طريقته الظلاما
فنحن بها على الأيام نشدو ... ونذكر فضل صاحبها جِماما
نصوغ الدر فى ذكرى فؤاد ... ونستحيي فنسميه كلاما
نشيد بذكره فى كل حى ... فنحيي الشوق فيه والهياما
ونهتف باسمه فنثير حزنا ... عليه كنائح أبكى الحماما
وننشر من أياديه الموالى ... ومن آلائه المنن الجساما
ومن أولى بنشر الفضل منا ... لموليه ؟ ومن أوفى ذماما ؟!
فؤاد ذاد عن وطن ودين ... وناضل دون هذين وحامى
قضى أيامه فى الملك يرمى ... عن الاسلام والفصحى سهاما
وينضح عن حمى الوادى كليث ... بشدة بأسه يحمى الإجاما
حمى دين الحنيفة من عداه ... وقوى الركن منه والدعاما
وأولى الازهر المعمور حظا ... من التقدير بوأه مقاما
وفاض على بنيه بالأيادى ... فأخجل من فواضله الغماما

العالم يجب أن تتعارف شعوبه

كانت الأمم إلى عهد الدعوة الإسلامية منقسمة الى جماعات وقبائل وشعوب وأمم مستقل بعضها عن بعض ، لا تجمعها جامعة دينيه ولا مدنية ، بل كانت متعادية متناحرة كأن بينها ثارات موروثة ، حتى أن القبائل التى تعتزى الى جنس واحد كانت على هذه الشاكلة من التعادى والتناحر . وقد مضى على الناس، وهم على هذه الحالة ، آلاف من السنين لم يقم فيهم رجل واحد بدعوة الى توحيد هذه الجماعات تحت ظلال أعم رابطة تجمع بينها، وهى الانسانية، مع أن كثيرا من هذه الأمم بلغت شأوا بعيدا من المدنية ، كالأمة الصينية والهندية والمصرية والبابلية الخ ، ثم تلتها الأمم اليونانية والرومانية والقرطاجية، وقد بلغ فيها العلم والفلسفة إلى حدود بعيدة ، واتصلت لديها العقلية الانسانية باوج عال من المدركات التجريدية ، ومع ذلك ظلت على ما كانت عليه من الانقسام المزرى بكرامة ما كانت عليه من الفلسفة والعلم والمدنية . أفلا يكون من العجب العاجب أن تظهر هذه الدعوة لأول مرة فى تاريخ البشرية من صميم جماعات شتى لم تصل بعد من أطوار الاجتماع الى درجة شعب أو أمة ؟

لا جرم أنها دعوة خارقة للعادة ، ولا يعقل تولدها فى قبائل لم تصل بعد الى ما عليه غيرها من الوحدة الجنسية الخاصة ، فكيف تطفر الى الوحدة النوعية العامة دون أن تجتاز أدوار الاجتماع الأولية ؟

هذه مسألة تحير الباحث عن العلل الأولية لأطوار المجتمعات المتتالية ، فندعها الآن وننظر فى موضوعنا نفسه من الناحية الفلسفية ، فهل من الممكن أن يوجد بين الأمم تعارف يؤدى الى إبطال الحروب ، وإلى التعاون على الاضطلاع بتكاليف الحياة ؟

يقول بعض الباحثين نعم ، ويقول بعضهم الآخر لا . فمن يجيب إثباتا يعتمد على ما سيكون فى المستقبل البعيد من الوحدة العلمية والوحدة العملية والوحدة الاقتصادية ، مستندا إلى أن الأمم تتقارب فى ثقافتها العلمية تقاربا محسوسا سيتأدى بالجرى عليه الى الوحدة ، لأن العلم مادام قائما على دستوره

مكتبتنا العربية

لا يمكن أن يختلف فى بلد عنه فى بلد آخر ، والتوحد العلمى يتبعه التوحد العملى والاقتصادى ؛ ومن جهة أخرى التنازع بينها يجرها الى الفوضى والانحلال، من هنا ستضطر محفوزة بحب البقاء الى التفاهم فيما بينها ، وحل مشكلاتها على وجه ما تفاديا من استخدام القوة للحصول على أغراضها .

ثم إن المواد الأولية التى هى محل النزاع بين الأمم غزيرة فى الأرض تكفى جميع سكانها وتزيد عن حاجتهم ، فلا موجب لاختصاص بعض الأمم بها وحبسها عن سائرها . وقد تفاوضت الأمم ذوات المستعمرات الكبيرة وتراضت على توزيعها على مقتضى العدالة ، باعتبار أن الاختصاص بها مثار أكبر الحروب العالمية .

فهذه المقدمات إذا تمت كان تعارف الجماعات البشرية من ثمراتها الأولية .

أما الذين يقولون بعدم إمكان تعارف الأمم ، فيعتمدون على ما بين الجماعات البشرية من العصبيات المختلفة من جنسية ولغوية ودينية ، وعلى استبعاد تراضى الأمم على توزع المواد الأولية فيما بينها بالعدل ، وعلى ما تشعر به الأمم الكبرى من الكبرياء والعشمرية فى معاملة الأمم الصغرى .

والذى يثلج عليه الصدر هو أن كل هذه الحوائل يمكن أن تزول بتأثير الروح الديموقراطية وتأصلها فى النفوس ، وما ينضم اليها من كراهية الحرب واعتبارها بقية من بقايا الوحشية ، ووسيلة غير جديرة بكرامة الانسانية .

والمشاهد المحسوس أن الأمم تعمل جاهدة على إبطال الحروب بإقامة محكمة دولية تفصل فى كل ما يشجر بين الجماعات من خلاف ، وتأليف جيش عالمى يوجه لتأديب كل جماعة تخرج على هذا النظام العام . فاذا تم للأمم المجتمعة اليوم وضع هذا النظام ، تم التعارف المنشود بين الأمم ، وتحقق حكم القرآن فى أن الأمم خلقت لتتعارف وتتعاون ، ولم تخلق لتتناكر وتتناهب ، وذلك فى قوله تعالى : « يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، إن الله عليم خبير » فكانت هذه الآية الكريمة من المثل الاسلامية العليا التى أنزلت الى الآخذين بهذا الدين

ليكونوا فى مقدمة الحاملين لرسالة المدنية ، والروح الديموقراطية ، والوحدة العالمية .

والناظر فى تاريخ الأمم الاستعمارية يجد أن أية أمة من الأمم لم تنظر الى الأمم الخاضعة لها نظرة أخوية غير الأمة الاسلامية ، عملا بمدلول هذا المثل الأعلى . فقد كانت المعاملة العادية للأمم المقهورة هى نظام العبودية الى أقصى حد ، بحيث لم تتقرر حقوق لها تطالب بها أمام العدالة ولا أمام الرأى العالمى العام ، وأسوأ ما شوهد من أحوال الاستعمار معاملة الدولة الرومانية للأمم التى خضعت لها ، فقد كانت تعاملها معاملة الأسرى لا أكثر من ذلك ولا أقل ، ولم يكن لما يصيبها جملة أو بعض آحادها من المظالم صدى يتردد فى ناحية ما ، ولو وصل همس منه الى آذان الحكومة القائمة ، أهملته كأنه لم يكن . فاذا قابلت هذا العسف الشائن بما كان عليه الأمر عند المسلمين أيام صولتهم ، وجدت فارقا لا يمكن إدراك مداه يدل على أن العدل الإلهى نشر روحه على هذه الجماعات المقهورة فرفعها الى درجة الأخوة للأمة الغالبة التى كان لها فى ذلك العهد خلافة الأرض .

ماذا أقول ؟ وجدت أن هذه الأمة الغالبة قد جعلت ممن تغلبت عليهم هيئة أمم متحدة تحكم بقانون واحد ، وتعامل بالمساواة المطلقة ، لا فرق بين قاهر ومقهور ، ولا بين عربى وأعجمى ، ولا بين أبيض وأسود .

هذا لا يكاد يصدق ، ولكنه ثابت مقرر لا سبيل للشك فيه ، وقد أفضى إلى نتيجة ضخمة لا شبيه لها فى التاريخ ، وهى دخول الناس فى هذا الدين جماعات جماعات ، بل دخلته أمم برمتها ، ولم يمض عليه مائة سنة حتى كان عدد أتباعه مائة مليون نسمة ، وأمكن أهله أن يؤسسوا ملكا لم ينبغ لأمة فى التاريخ القديم ولا فى العهد الحديث ، وفى الوقت نفسه بلغت من الرقى العلمى إلى حد كانت معه أمبراطوريتها المترامية الأطراف تنشر النور فى جميع بقاع الأرض ، وكان لا فرق لديها بين بلد شرقى وبلد غربى ، ولا بين عربى وأجنبى ، فعملت فى الأندلس وفارس ومصر والمغرب وغيرها ما فعلته فى عقر بلادها من تأسيس الجامعات ، وبناء المراصد ، وإشادة المكتبات ، ولم ترصد لنشر

مكتبتنا العربية

دينها جماعة كالتى يراها الناس فى بلاد الشرق تابعة لبعض الدول ، اللهم إلا دعوة الى الاسلام بالتى هى أحسن ، ودون تكالب على الناس ، أو تضييق عليهم .

ماذا تنتظر غير هذا من أمة كان من مُثُلها العليا أن الناس كلهم سواء ، وأنهم جميعا لأب واحد وأم واحدة ، وأن التفاضل بينهم لا يكون بالأصل ولا باللون ولا باللغة ، وإنما بتقوى الله والوقوف عند حدوده ، قلنا ماذا تنتظر منها غير هذه الآثار العمرانية ، والسيرة المثالية ؟ وماذا تنتظر من الامم الاخرى التى كانت تزعم أن جنسها خير الأجناس ، وأن لغتها أفصح اللغات ، وأن لونها أدل على سموها من جميع الألوان ، وأن ما هى عليه من الدين أفضل الأديان ؛ قلنا ماذا تنتظر منها غير ما حفظه التاريخ من ظلم المقهورين ، واستعباد لهم لا يعرف له حد فيقف عنده ؟ فكان الرجل يقتل الفرد أو الجماعة منهم فلا يطالب بدمه أو دمائهم أحد . وكان ينتهب أموالهم وينتهك حرماتهم فلا يجد المتهضم من يستعديه عليه ليحد من إيذائه .

هذه كانت حالة المسلمين وحالة الأمم الكبرى ، فما أعظم الفارق بينهما ! فارق لا يمكن فهم علته إلا إذا اعتبرنا أن ما كانت عليه الأمم من نظم ، اقتضتها طبيعتها البشرية ، وأوهامها التقليدية ، وأن ما كان عليه المسلمون تعاليم إلهية ، تنزلت عليهم من الأفق الأعلى ، لتدفع بالانسانية الى حالة من التطور ما كانت لتصل اليها بفضل مجهوداتها الذاتية .

ودليلنا على ذلك أن الأمم المتمدنة ، وقد بلغت شأوا بعيدا من العلم والمدنية ، لم تصل حتى اليوم تحت تأثير الدوافع الطبيعية ، والحوافز الحيوية ، إلى مثل المبادىء التى استهدى بها المسلمون أول نشوئهم فى تطوراتهم الاجتماعية .

وليس مما يعقل أن يفرض أنه قد يخرج هذا الانتقال الضخم فى المبادىء الأدبية التى لم تصل أمة اليها فى أى عهد من عهود التاريخ ، ولا أعظم أمة من أمم هذا العصر أيضا ، من صميم قبائل كان يأكل بعضها بعضا ، لا تعرف للانسانية حقا ، ولا للعدالة رسما ، إلا ما تصوره لها أوهامها العتيقة ، وتقاليدها الموروثة .

فدليل الوحى الالهى يتجلى فى هذا المجال كتجليه فى كل مجال قارنا فيه الأصول الاسلامية بالمبادىء الانسانية ؟

محمد فريد وجدى

سنة حسنة

لفضيلة الأستاذ الشيخ طه الساكت

عن جرير بن عبد الله رضى الله عنه قال : كنا فى صدر النهار عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجاءه قوم عُراة مُجتابي النِّمار — أو العَباء — متقلدى السيوف ، عامّتهم بل كلهم من مضرَ ؛ فتمعّر وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رأى بهم من الفاقة . فدخل ثم خرج فأمر بلالا فأذن وأقام ، ثم صلى ثم خطب فقال : « يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة » الى آخر الآية « إن الله كان عليكم رقيبا » والآيةَ الأخرى التى فى آخر الحشر « يأيها الذين آمنوا اتقوا الله ولْتنظرْ نفس ما قدمت لغد » تصدق (١) رجل من ديناره ، من درهمه ، من ثوبه ، من صاع بُره ، من صاع تمره ، حتى قال : ولو بشق تمرة . فجاء رجل من الأنصار بصرة كادت كفه تعجز عنها بل قد عجزت ؛ ثم تتابع الناس حتى رأيت كومين من طعام وثياب ، حتى رأيت وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يتهلل كأنه مُذْهَبة ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من سنّ فى الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده ، من غير أن ينقص من أجورهم شىء ؛ ومن سن فى الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده ، من غير أن ينقص من أوزارهم شىء » . رواه مسلم (٢) .

مجتابى النمار . النمار جمع نمرة ، وهى الكساء من الصوف المخطط ، والاجتياب من الجوب وهو القطع ، ومنه قوله تعالى « وثمود الذين جابوا الصخر بالواد » أى نحتوه وقطعوه . والمراد أن هؤلاء القوم لفاقتهم ورقة

---

(١) خبر بمعنى الأمر وهو أبلغ ، كأن الامتثال قد تحقق (٢) فى كتاب الزكاة وفى كتاب العلم ، ومع أن الرواية الثانية أخصر ففيها فوائد متممة اكتفينا بها فى الشرح .

مكتبتنا العربية

حالهم ، لبسوا أرديتهم ، أو عباءهم (جمع عباءة) وقد خرقوها فى رءوسهم . وأو ، للشك من المنذرين جرير فى أى اللفظين قال أبوه : آلنمار أم العباء . وإذا كان هذا بعض تحريهم فى رواية بعضهم عن بعض فكيف بتحريهم فى الرواية عن النبي صلى الله عليه وسلم ؟ ومضر : من أمهات العرب المستعربة وأشهرها . وربيعة ومضر مضرب المثل فى كثرة العدد . فتمعر الخ : أى تغير وجهه صلوات الله عليه رثاء لهم وحزنا عليهم . والصاع : كيل معروف عند أهل المدينة قريب من ربع الكيلة المصرية . والكوم بفتح الكاف وضمها ، وكذلك الكومة بالضم ما كوم وجمع من طعام أو غيره ، ونظيره الصُّبرة من الطعام ، وهى ما جمع منه بلا كيل ولا وزن . والمذهبة : القطعة المطلية بالذهب . وأذهب الشيء وذهّبه طلاه بالذهب ، وإن كان المعروف فى الرواية التخفيف . وضبطها بعضهم « مُدهُنة » بالدال والنون ، وهى وعاء الدهن ، أو الماء المجتمع فى الحجر . والتأنيث هنا موافق لرواية الشيخين فى حديث الثلاثة الذين خلفوا ، ثم تاب الله عليهم ، « وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سر استنار وجهه كأنه قطعة قمر » والمراد فى كل بيان إشراق وجه الشريف وبريق أساريره صفاء ونورا حين فرحه بالخير .

* * *

يُعنَى الاسلام بالتعاون على البر ، والتعاطف فى الخير ، عناية تجعل ممن اتبع هداه أمة واحدة ، يسر كلها ما يسر بعضها ، ويحزن جميعها ما يحزن فردا منها . وحسبك أن جعل المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا ، وأنْ شبّه المؤمنين فى تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم ، بالجسد الواحد ، إذا اشتكى عضو منه تداعى له سائره بالسهر والحمى ! .

ولقد استجاب المسلمون الأولون لدعوة الاسلام الى البر على اختلاف أنواعه ، فلم يدعوا طريقا من طرقه إلا سلكوه ، ولا بابا من أبوابه إلا ولجوه إيثارا لما عند الله ، وابتغاء فضله ورضاه . وكاد أغنياؤهم وفقراؤهم يكونون فى الفضل سواء : لم يمنع الفقيرَ فقره وفاقته أن يبلغ الجهد فى الإنفاق ، ولو

درهما أو درهمين ، أو حفنة أو حفنتين ؛ كما لم يمنع الغنيّ حب المال والأولاد أن يبذل شطر ماله أو جله أو كله في سبيل الله ،وكان يتجلى هذا التعاون إذا ادلهمت الخطوب ، واشتدت الأزمات .

* * *

وهذا مثال رائع من أمثلة كثيرة يخطئها العد ، في استجابتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين يدعوهم في الملمات ، ويندبهم لكشف الكربات !

هؤلاء قوم من أعراب مضر ، تنطق أحوالهم بالبؤس والفاقة ، وتنادى رثاثة ثيابهم وهلهلتها بالعرى والحاجة ، قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم يبتغون مما أفاء الله عليه ، ويرجون تيسير عسرتهم لديه ؛ ومن أولى بذلك منه وهو أجود بالخير من الريح المرسلة ؟ ولكن ماذا يصنع صلوات الله عليه وليس عنده شيء ؟ لقد دخل بيته لعله يجد شيئا يميرهم به فلم يجد ، وما كان أشد هذا الأمر عليه : أن يرى ذا حاجة ليست عنده حاجته ، أو طالب معونة ليست بيده معونته ! .

إذاً فليدع أصحابه من حضر منهم لتفريج هذه الكربة ، وليندبهم لإزالة هذه العسرة ، فإنهم أول من ينتدبون للتعاون على البر والتقوى ، ويأتسون بمن لا يدخر شيئا في سبيل الله . وكذلك فعل صلوات الله وسلامه عليه .

كان وقت الصلاة قد حان ، فأمر بلالا أن يؤذن لها ويقيمها ؛ وبعد الصلاة رقى منبره خطيبا على عادته كلما حزب أمر أو ألمت ملمة ؛ وأخذ يحث على الصدقة والإنفاق ، فأبطأ الناس بعض الإبطاء ، ولعلهم كانوا ينتظرون تمام خطبته ، أو يستقلون ما بأيديهم من المال والمتاع . وكان لهذا البطء أثره البليغ في وجهه الشريف ، إلى تغيره من حال القوم ؛ وكان إذا كره شيئا تغير ، وإذا تغير رئى ذلك في وجهه . وما هي إلا لحظات حتى انبرى رجل من الأنصار (ورحم الله الأنصار) إلى صرة من فضة كانت عنده ، فأتى بها وكفه تعجز عن حملها حتى وضعها بين يديه ، صلوات الله عليه ؛ ثم تتابع الناس في البذل ، كل على

مكتبتنا العربية

حسب وسعه ، و « لا يكلف الله نفسا إلا وسعها » حتى كان كومان عظيمان من طعام وثياب ، عدا ما هنالك من الذهب والورق . وحينذاك استبشر النبي صلى الله عليه وسلم ، واستنار وجهه فرحا وسرورا عما رأى من تلبية الدعوة إلى البر ، والمسابقة فى الخير ، وإغاثة هؤلاء الملهوفين ! ثم بشر ذلك الأنصارى الكريم ، الذى فتح باب هذا الخير العظيم ، بأنه قد سن سنة حسنة له عند الله أجرها وذخرها ، ومثل أجر من عمل بها واقتفى أثرها إلى يوم يبعثون .

* * *

فى هذا الحديث عبر وعظات ، حق على من قرأه أن يتأملها وينتفع بها ، ولا سيما الدعاة الى الله تعالى ؛ فان فيه من الحكمة والموعظة الحسنة مثلا للهداة ، ونبراسا للمرشدين .

فيه جمع الناس لعظائم الأمور ، وحثهم على التعاون فى الخير مع رعاية المناسبات ، وتخير الأوقات ؛ وخيرها أوقات الصلوات ، بعد الوقوف بين يدى الله ، والاستمتاع بحلاوة الضراعة والمناجاة .

وفيه تذكير الناس بالبواعث على الاجابة والحوافز إلى المنافسة ، ولهذا افتتح خطبته صلى الله عليه وسلم بآيتى التقوى ؛ وفى الآية الأولى تذكرة السامعين بنعمة الايجاد والتربية ، وأنهم جميعا إخوة لأب واحد وأم واحدة ، لا فضل لأخ على أخيه إلا بالتقوى ، وأنه سبحانه رقيب عليهم ، وسيجزيهم عما كانوا يصنعون ؛ وفى الآية الأخرى تذكرة بالدار الآخرة التى يرحلون إليها لا محالة فى الغد القريب ، وإذا كان لا بد للمسافر من زاد « فإن خير الزاد التقوى » .

وفيه التيسير على المحسنين ، والرفق بالضعفاء المخلصين ، فليتصدق كل بما استطاع ، ولو بشق تمرة ؛ ورب قليل هو عند الله أزكى وأطهر من كثير ، وإنما الأعمال بالنيات .

وفى الحديث كشف النقاب عن السنة الحسنة والسنة السيئة وبيان حقيقة كل منهما ؛ إذ أوضح صلوات الله وسلامه عليه أن كل عمل صالح يبتدىء به صاحبه فيدعو الناس إلى مثله ، فهو السنة الحسنة ؛ ومنه يُعلم أن كل عمل غير صالح يبتدىء به صاحبه فيدعو الناس إلى مثله ، فهو السنة السيئة. وطوبى لمن جعله الله مفتاحا للخير مغلاقا للشر ، وويل لمن جعله الله مفتاحا للشر مغلاقا للخير ؛ للأول أجره وأجر من اهتدى به إلى يوم القيامة ، وعلى الثانى وزره ووزر من اقتدى به إلى يوم القيامة.

ومن قبيل السنة الحسنة ما يسنه ملوك المسلمين وكبراؤهم من العطايا الجزيلة ، والأعمال الجليلة ، والمشروعات النافعة ؛ من تلك الباقيات الصالحات التى تخلد ذكراهم بالدعاء لهم والاقتداء بهم ؛ وعلى العكس منها سنن سيئة تحمل بعضهم أثقالها وأثقال من اقتدى بهم فيها.

* * *

وبعد ، فلعل فى هـذا البيان على وجازته ، مقنعاً لخصمين اختصموا فى السنة والبدعة ، وأضاعوا العمر فى جدال عنيف ، وسباب جائر ، ثم افترقوا على غير هدى من الله ولا بصيرة ! ولعل الله أن يفتح على قومنا هؤلاء ويهديهم للتى هى أقوم ، ويبعث فيهم من يسن لهم فى الاصلاح سنة حسنة يفوز بأجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شىء ؟

إيمان الشعراء

جلس أبو العتاهية فى دكان وراق وأخذ كتابا فكتب على ظهره :

فيا عجبا كيف يعصى الإ … لٰه أم كيف يجحده الجاحد
ولله فى كل تحريكة … وتسكينة شاهد
وفى كل شىء له آية … تدل على أنه الواحد

فمر أبو نواس فرأى الأبيات فكتب تحتها :

سبحان من خلق الخل … ق من ضعيف مهين
فساقه من قرار … إلى قرار مكين
يحول شيئا فشيئا … فى الحجب دون العيون
حتى بدت حركات … مخلوقة من سكون

مكتبتنا العربية

اجتهاد الخلفاء الاربعة

اجتهاد أبى بكر

لحضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ عبد العزيز المراغى
الإمام الخاص لحضرة صاحب الجلالة الملك المعظم

عند ما لحق الرسول صلوات الله عليه بالرفيق الأعلى ، كانت مصادر التشريع ، التى يعرفها المسلمون ، قد كملت فى جملتها ، ولم يكن للناس بعد ذلك أن يزيدوا مصدرا يرجعون إليه أحكامهم غير هذه الاربعة التى ترجع فى التحقيق - كما يقول علماء الأصول - إلى مصدر واحد وهو الكتاب .

ومع إكمال هذه المصادر وُجدت بعض أحكام فرعية من عهد الرسول استجابة لما جدّ فى عهده عليه السلام من حوادث ، ولكن هذه الأحكام كانت من القلة بحيث لم تكن لتكفى ما جدّ بعد وفاته عليه السلام من حادثات نتيجة لاجتماع العرب قاطبة تحت راية الإسلام بعد الردة ، ونتيجة لهذه الفتوحات التى بدات بشائر أعلامها تظهر فى عهد الخليفة الأول ، رضى الله تعالى عنه .

فلم يكن للمسلمين مندوحة من أن يواجهوا تلك الحالة الجديدة ، وأن يُعطوا لما جدّ من حادثات أحكاما تتلاق مع قواعد التشريع العامة وتستمد من روحها ، ولكنهم مع ذلك كانوا يأخذون الأمر كله فى شىء من الأناة والرفق حتى فى الأمور التى نظنها لا تستدعى — فى نظرنا — هذه الأناة وهذا التحفظ ، كما روى عن موقف عمر بن الخطاب من أبى بكر وقد أصر على قتال من كفر من العرب ، فقال له عمر : كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قال

لا إله إلا الله عصم منى ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله ؟ فقال أبو بكر : والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فان الزكاة حق المال ، والله لو منعونى عناقا كانوا يؤدونها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها ! فقال عمر رضي الله عنه : فوالله ما هو إلا أن رأيت أن الله شرح صدر أبى بكر للقتال فعرفت أنه الحق .

وقد روى عن الصحابة فقه وأحكام ، وروى أن أربعة عشر منهم كانوا يفتون فى حياة الرسول عليه السلام .

ومسألة جواز اجتهاد الصحابة فى عصره عليه السلام مسألة معروفة فى كتب الأصول ، وللعلماء فيه آراء لا نحب أن نطيل بذكرها .

وقد روى أن أبا بكر كان أحيانا يجتهد ويفتى فى حضرة الرسول عليه السلام ؛ فقد أخرج مسلم عن أبى قتادة الأنصارى قال : خرجنا مع رسول الله عام حنين فلما التقينا كان للمسلمين جولة ، قال : فرأيت رجلا من المشركين قد علا رجلا من المسلمين فاستدرته حتى أتيته من ورائه فضربته على حبل عاتقه ضربة قطعت الدرع ، قال : وأقبل علىّ فضمنى ضمة وجدت منها ريح الموت ، ثم أدركه الموت فأرسلنى ، فلحقت عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقلت : ما بال الناس ؟ قال : أمر الله ؛ قال : ثم إن الناس رجعوا وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : من قتل قتيلا له عليه بينة فله سلبه ؛ فقمت فقلت من يشهد لى ؟ ثم جلست ، ثم قال مثل ذلك ، قال : فقلت من يشهد لى ؟ ثم جلست ، ثم قال ذلك الثالثة ، فقمت فقال رسول الله : مالك يا أبا قتادة ؟ فقصصت عليه القصة ، فقال رجل من القوم : صدق يارسول الله ! سلب ذلك القتيل عندى ، فأرضه من حقه . فقال أبو بكر : لا ، ها الله إذن لا يعمد الى أسد من أسود الله يقاتل عن الله ورسوله فيعطيك سلبه ! فقال رسول الله : صدق فأعطه إياه . فأعطانى ، فبعت الدرع فابتعت مخرفا فى بنى سلمة فإنه لأول مال تأثلته .

فهذا اجتهاد من أبى بكر بحضرة الرسول عليه السلام ، وإقرارُ الرسول له تسليم بدقة الملحظ والنظر منه ، وتحقيق لمناط الاجتهاد على وجه يشعر بفطنة

مكتبتنا العربية

أبى بكر فى فتياه ودقة استنباطه . ولعل هذا ملحظ قوله عليه السلام : عليكم بسنتى وسنة الخلفاء المهديين بعدى ، لملازمتهم للرسول عليه السلام وتوقد أذهانهم ، وملازمة الرسول طريق واضح لمعرفة هديه والبصر به .

كتب عمر الى معاوية وهو وال بالشام فى خلاف وقع بينه وبين عبادة ابن الصامت فى الصرف مفاضلة من جنس واحد (أجازه معاوية مناجزة ومنعه عبادة) يقول : متى كنت فقيها ! فان عبادة كان يفتى وأنت تسكر مع فيتان مكة ! يعنى بذلك قبل إسلامه قبل الفتح ، وتلك أمور يعرفها من له بصر بتاريخ التشريع الاسلامى .

وأبو بكر الذى أنقذ المسلمين بموقفه فى أمر الخلافة بعد وفاة الرسول كان شديد الملازمة للرسول عليه السلام ، وأعرف الناس بمواطن هديه صلى الله عليه وسلم ، وأميرَ الحج فى سنة تسع ، وهو منصب يحتاج إلى فقه وإلى علم ليبصر الناس بأمور دينهم وهم حديثو عهد بالاسلام .

ولما مات الرسول عليه السلام اختلفوا فى المكان الذى يجب أن يدفن فيه وفى كيفية الصلاة عليه ، فقال أبو بكر : يدفن فى المحل الذى قبض فيه وتدخل كل طائفة وتصلى وتخرج ؛ فأذعنوا لاجتهاده وقد استدل بالسنة دون أن يشكوا فى شىء مما رأى أبو بكر . ولما طلبت فاطمة رضى الله عنها ميراثها من الرسول وطلب العباس ميراث مابقى ، روى أبو بكر لهم الحديث المعروف « نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة » وحكم بأنه مخصِّص لآيات الميراث .

واجتهد فى جمع المصحف وخالفه عمر قائلا : لا نفعل شيئا لم يفعله الرسول ، ثم رجع عمر لرأى أبى بكر لما رأى فيه المصلحة . واستشارته الجدة التى جاءت تطلب ميراثها فقال لها : لا أجد لك فى كتاب الله شيئا ولكن سأسأل الناس ؛ فخرج وسأل الصحابة : أيكم سمع من رسول الله شيئا فى الجدة ؟ فقال له المغيرة ابن شعبة : نعم أعطاها رسول الله صلى الله عليه وسلم السدس . فقال له : أيعلم ذلك غيرك ؟ فقال محمد بن سلمة : صدق ، فأعطاها السدس .

وقد اجتهد حين أوصى لعمر بالخلافة من بعده ، لأنه رأى أنه صاحب الحل والعقد ، فله أن يولى من ظهرت أهليته قياسا على تولية أهل الحل

مكتبتنا العربية

والمقلد له الخلافة ، أو لأنه راعي المسلمين والقيّم على شئونهم . روى مسلم عن عبد الله بن عمر أنه دخل على أبيه حين احتضر فقال : زعموا أنك غير مستخلف وإنه لو كان لك راعي إبل أو غنم ثم جاءك وتركها أرأيته غير مضيع ؟ فرعاية الناس أشد . قال : فوافقه قولي ، فوضع رأسه ساعة ثم رفعه إلي فقال : إن الله عز وجل يحفظ دينه وإني لئن لا أستخلف فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يستخلف ، وإن أستخلف فإن أبا بكر قد استخلف . قال : فوالله ماهو إلا أن ذكر رسول الله وأبا بكر فعلمت أنه لم يعدل برسول الله صلى الله عليه وسلم أحداً وأنه غير مستخلف .

فعمر يرى أن أبا بكر قاس حين استخلف ، ورأى أن خليفة المسلمين كالراعي يجب أن لا يتركهم ، وعمر رأى العمل بالسنة .

هذه جملة من أمثلة اجتهاد الخليفة الأول في شئون المسلمين وفقههم وتشريعهم تبين لك النور الذي تبعوه وساروا على هديه ، ومقدار ما أفادوا منه ومن صحبتهم لرسول الله صلوات الله عليه .

وسنعرض في مثال آخر لاجتهاد الخليفة الثاني عمر رضي الله عنه ، إن شاء الله ؟

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

جمال العلم

قيل لأهل مكة كيف كان عطاء بن أبي رباح فيكم ؟ قالوا : كان مثل العافية التي لا يعرف فضلها حتى تفقد . وكان عطاء هذا أفطس الأنف ، أسود ، أشل أعرج ، ثم عمي ، وكانت أمه سوداء تسمى بركة .

فانظر الى جمال العلم كيف تجلى على هذا العالم فكساه من إشراقه بجمال معنوي اسمى من الجمال المادي . واعجب بعد ذلك لرجال كانوا من تقدير العلم ، وحفظ حقه بحيث ينقادون لمن هذه صورته الجسدانية ، ويرون فيه الخير كل الخير ، والسعادة كل السعادة ، ثم قارن بينهم وبين كثير من المتمدنين يفرقون بين الأبيض والأسود ، ويعولون على الظواهر الخداعة . ولم يرو مثل هذا إلا عن المسلمين ، فانهم شغفوا بالعلم الى حد أن أغضوا معه عن كل ما عداه عملا بقول رسولهم صلى الله عليه وسلم : « خذ الحكمة ولا يضرك من أي وعاء خرجت » .

القياس النحوى

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ عبد الحميد عنتر
الأستاذ بكلية اللغة العربية

ألممت فى كلمتى الأولى تحت هذا العنوان بالعدد السابق من مجلة الأزهر إلى الأمور الآتية :

ا — بيان المعنى اللغوى للفظ (القياس) .

ب — شرح المعنى الاصطلاحى للقياس النحوى .

ج — إيضاح الفرق بينه وبين القياس المنطقى والأصولى .

وفى هذه الكلمة أبين آراء النحاة فى مدى تحكيم قياسهم فأقول :

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

٣ — مذاهب النحاة فى استعمال القياس :

يرى علماء البصرة أنه لا يجوز استعمال القياس مع ورود السماع . وإيضاح هذا بالأمثلة الآتية :

الأول — تقرر القاعدة الصرفية عندهم أن مصدر الفعل الثلاثى المتعدى يجىء على زنة (فَعْل) مثل : صرفه صرفا ، وصاغه صوغا ، وكاله كيلا ، وعدّه عدا ، وحمده حمدا . ومعنى ذلك أنه إذا جاءك فعل ثلاثى متعد ، ولم تعرف مصدره بطريق النقل عن العرب ، نطقت بمصدره على وزن (فَعْل) بمقتضى القياس . فاذا سمعت له مصدرا مخالفا للقياس الصرفى ، وجب عليك أن تنطق بهذا المصدر المسموع كما ورد عن العرب ؛ مثل : شُكر ، وعلم ، وخَنِق . ولا يجوز أن تفتح فاء الأولين ، ولا أن تسكن عين الثالث على ما يقتضيه القياس ؛ لأن فيما سمع عن العرب ما يغنينا عن هذا القياس . فهى مصادر سماعية ، شاذة عن القاعدة الصرفية ، تحفظ ولا يقاس عليها . وقد قرروا مثل هذا فى مصادر

(فَعَل وَفعِل وفَعُل) اللوازم . مثل ركع وعبث ووضؤ على ما هو موضح فى محله .

الثانى — يرون أن النسب الى (فَعِيلة) كحنيفة وربيعة ومدينة (فَعَلىّ) فيقال : حنفى وربعى ومدنى ، ويجعلون ذلك قاعدة مطردة فيما لم يرد فيه سماع خاص . فاذا ووجهوا بسليقى فى النسب الى سليقة ، وهى الطبيعة فى قول الشاعر :

ولست بنحوى يلوك لسانه ولكنى سليقى أقول فأعرب

قالوا إن هذا شاذ عن القاعدة ، يحفظ ولا يقاس عليه .

الثالث — يقولون إن أن المصدرية لا تعمل النصب فى المضارع وهى محذوفة إلا فى مواضعها الخاصة كما سمع فى الأغلب من كلام العرب ، ويجعلون ذلك قاعدة نحوية ، نحو « وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم » ، وقول الشاعر :

لأستسهلن الصعب أو أدرك المنى فما انقادت الآمال إلا لصابر

وقوله :

ليس العطاء من الفضول سماحة حتى تجود وما لديك قليل

وقوله :

فيارب عجل ما أؤمل منهم فيدفأ مقرور ويشبع مرمل

وقوله :

يا ابن الكرام ألا تدنو فتبصرَ ما قد حدثوك فما راءٍ كمن سمعا

وقوله تعالى: «يا ليتنى كنت معهم فأفوز فوزا عظيما» الى غير هذه الشواهد المسطورة فى أماكنها من كتب النحو واللغة والأدب . فاذا واجهتهم بقول بعض العرب : خذ اللص قبل يأخذَك ، ومره يحفرها ، وتسمعَ بالمعيد خير من أن تراه ، وقراءة بعض القراء قوله تعالى « بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغَه فاذا هو زاهق » بنصب المضارع فى كل ما ذكر ، مع أنه لم يكن فى أحد المواطن التى ذكروها فى القاعدة ، قالوا : إن هذا ونحوه شاذ عن القياس النحوى ، يحفظ ولا يقاس عليه . هذا رأى البصريين فى هذا ونحوه .

ويرى علماء الكوفة خلاف رأى البصريين فى كل ما ذكروا أنه شاذ . فهم يحترمون المسموع ويسوغون القياس معه أيضا ، فيجوزون أن يقال فى المصادر السالفة : شكْر ، وعَلْم ، وخَنْق(١) بفتح أول الكلمات ، مع تسكين نون الأخيرة . ويذهبون هذا المذهب فى النسب الى (فعيلة) فيقولون فى النسب الى طبيعة وبديهة ونحوهما : طبيعى وبديهى ، ويجعلون ذلك قياسا أيضا ، ويجوزون نصب المضارع مع حذف أن فى غير المواضع المعروفة ، ويجعلون ذلك قياسا كذلك ، فيقولون مثلا : ترجعَ الى الحق خير من التمادى فى الباطل ، وكله يحضرَها إليك ، ونجاهد فى سبيل حرية الوطن فننتصرَ على المعادين . فإذا قيل لهم : إن شكرا وعلما وخنقا ، وطبيعيا ونحوه ، وترجع ونحوه ، لم ترد فى كلام العرب — قالوا : إن هذه فائدة القياس النحوى ؛ وإلا فما فائدته إذا كان لا يستعمل إلا فيما سمع عن العرب ؟ . تلك طريقة الكوفيين فى تقعيد القواعد ، وهذا جوابهم عما توجه اليهم من أسئلة المخالفين . وتستطيع أن تعرف فائدة القياس عند البصريين إذا رجعت الى الامثلة القياسية التى ذكرتها أول هذا البحث . والحق أن كلا الطريقين مسرف فيما ذهب اليه وعول عليه .

أما البصريون فانهم تشددوا فى احترام أقيستهم النحوية ، وتغالوا فى ذلك حتى تجرءوا على تخطئة بعض العرب الموثوق بعربيتهم ، لأنه خالف القياس النحوى المبنى على الاستقراء الناقص لجزئيات كلام العرب ! .

فهذا ابن أبى إسحاق الحضرمى النحوى البصرى يخطىء الفرزدق فى رفع كلمة حقها النصب بمقتضى القياس النحوى ، فى قوله من قصيدة يمدح بها عبد الملك بن مروان :

وعض زمان يا ابن مروان لم يدَع من المال إلا مسحتا أو مجلفُ

المسحت : المستأصل ، والمجلف ما بقيت منه بقية . فيقول للفرزدق : بم رفعت (أو مجلف) ؟ فيجيبه الشاعر بقوله : بما يسوءك وينوءك ! علينا أن نقول ، وعليكم أن تتأولوا . ثم يهجوه بقوله

---

(١) انظر رأى الفراء من أئمة الكوفيين فى قياس مصدر الفعل الثلاثى بمجلة « مجمع اللغة العربية الملكى » (ج ٢ ص ٢٠٥)

مكتبتنا العربية

ولو كان عبد الله مولى هجوته ... ولكن عبد الله مولى مواليا

فيقول عبد الله بن أبى إسحاق : عذره شر من ذنبه ! فقد أخطأ أيضا ، والصواب مولى موال !

ونحن نحمد الله إذ جاء بعد طبقة ابن أبى إسحاق من البصريين ، كيونس وسيبويه ، من وجدوا لكلام الفرزدق مخرجا من العربية . فقوله : أو مجلف عطف على مسحتا بملاحظة معنى الاستثناء ؛ كأنه قال بقى مسحت أو مجلف . وقوله : مولى مواليا أتى به على الأصل للضرورة الشعرية ، كما قال المتنخّل الهذلى :

أبيت على معارى واضحات ... بهن ملوّب كدم العباط (١)

ومثله قول أمية بن أبى الصلت :

له ما رأت عين البصير وفوقه ... سماء الإله فوق سبع سمائيا

ومثل هذا فى الشعر العربى كثير ، وعلى هذا فلا وجه لتخطئة الفرزدق . ولكن عذر ابن أبى إسحاق أن هذا مبلغ ما وصل اليه علمه من الاستقراء . ولعل ما غاب عنه أكثر ، وقد تداركه العلماء البصريون فيما بعد ، وبذا كادت تبنى قواعد النحو والتصريف عندهم أخيرا على شبه الاستقراء التام .

وأما الكوفيون فقد وسعوا دائرة القياس ، فقاسوا على المسموع الكثير كما فعل البصريون ، وقاسوا على الشاذ النادر ، وعلى مالا يجوز إلا فى ضرورة الشعر ! . وبينما يتشدد البصريون فى صحة رواية ما يقاس عليه من شعر أو نثر ، إذ نسمع عن الكوفيين أنهم كانوا لا يحتاطون فى الرواية ، ويأخذون عمن لا يوثق بعربيتهم ، حتى قيل إنهم أفسدوا بذلك النحو . وفى هذا المعنى يقول أبو محمد اليزيدى النحوى الأديب الشاعر :

---

(١) المعارى بوزن الجوارى مفرده معرى ، وهو الفراش ، لأن الشخص يعروه أى يتردد عليه . والواضحات البيض ، والملوب الذى وضع عليه الملاب بوزن سحاب ، وهو ضرب من الطيب الأحمر ، الشبيه فى حمرته بدم العباط [بكسر العين] ، وهى الابل التى نحرت لغير علة ، مفردها عبيط وعبيطة .

مكتبتنا العربية

كنا نقيس النحو فيما مضى ... على لسان العرب الأول
فجاء أقوام يقيسونه ... على لغى أشياخ قطربل[١]
فكلهم يعمل فى نقض ما ... به يصاب الحق لا يأتلى
إن الكسائى وأصحابه ... يرقون فى النحو الى أسفل !

وهذا الكسائى إمام الكوفيين ، يعظم شأن القياس على مذهبه ، ويُشيد بفائدة علم النحو ، ويرد على اليزيدى فيقول :

إنما النحو قياس يتبع ... وبه فى كل أمر ينتفع
فاذا ما أبصر النحو الفتى ... مر فى المنطق مرا فاتسع
فاتقاه كل من جالسه ... من جليس ناطق أو مستمع
وإذا لم يبصر النحو الفتى ... هاب أن ينطق جبنا فانقطع
فتراه يرفع النصب وما ... كان من خفض ومن جزم [٢] رفع
يقرأ القرآن لا يعرف ما ... صرف الإعراب فيه وصنع
والذى يعرفه يقرؤه ... فاذا ما شك فى حرف رجع
ناظرا فيه وفى إعرابه ... فاذا ما عرف اللحن صدع
كم وضيع رفع النحو وكم ... من شريف قد رأيناه وضع
فهما فيه سواء عندكم ... ليست السنة فينا كالبدع !

إلى هنا أعود فأقول : إن تشدد البصريين — أول تكوين مذهبهم النحوى — فى أمر القياس ، وتفريطَ الكوفيين فى ذلك الأمر ، قد عدلا تعديلا جميلا ، على يد من جاء بعدهم من نحاة العراق والأندلس ومصر والشام ، كأبى على الفارسى ، وابن جنى ، والزمخشرى ، وابن الشجرى (٣) ؛ والزبيدى ، وابن الطراوة ، وابن مالك ، والسهيلى (٤) ؛ وابن برى ، وابن معط ،

(١) ويقال فيها قطربل بتشديد اللام . وهى قرية بظاهر بغداد اشتهرت بالخمر والخلاعة وكان يلم بها أعراب الحطيات الذين اختبل لسانهم ، وفسدت سليقتهم ، وكثر فيهم الخطأ واللحن ! .

(٢) فى معجم الادباء [ومن نصب] وهو مكرر مع أول البيت . فلذا أبدلته بجزم .

(٣) من نحاة العراق وما جاورها .

(٤) من الأندلسيين .

وابن يعيش ، وابن الحاجب ، وابن هشام الأنصارى (١) . فقد رجحوا من مذهب الفريقين ما قوى سنده ، واستقام منهجه ؛ وضعفوا ما ضعف دليله ، والتوى سبيله ، بغض النظر عمن نسب إليه . وبذا أصبح النحو سائغاً شهياً ، دانى القطوف لمن أراد أن يجتنى ثماره ، ويجتلى عرائسه وفرائده وأسراره ، ولم يبق إلا تهذيب كتبه ، وجعلها فى متناول فهم الجميع !

وقبل أن أختم هذا البحث ، أرشد القارىء الى كتاب قيم ، وفى مباحث القياس كلها ، وأتى فى كل بحث طرفه بالمعجب المطرب !

هذا الكتاب يسمى « القياس فى اللغة العربية » للعلامة الأستاذ الكبير ، صاحب الفضيلة الشيخ محمد الخضر حسين ، رئيس « جمعية الهداية الإسلامية » ، وعضو « مجمع فؤاد الاول للغة العربية » بالقاهرة .

وهو ككل مؤلف له ، يجمع بين غزارة المادة ، وسهولة العبارة ، وسعة الاطلاع ، ودقة البحث ، والإفاضة فى القول . ويقع فى نحو ١٢٠ صفحة من القطع المتوسط . وقد عنيت بنشره المطبعة السلفية ، بشارع الفتح فى « الروضة » ، فطبعته طبعاً أنيقاً متقناً على ورق جيد ، وجعلت ثمنه زهيداً (٥ قروش) ليسهل اقتناؤه والانتفاع به !

وبعد ، فإن هذا الكتاب لايستغنى عنه طالب علم النحو ، ولامدرسه ، وإنه يعد الحلقة التى كانت مفقودة من سلسلة المكتبات العربية فى الشرق كله ، وإن مقالى هذا فى القياس النحوى ، بمثابة مفتاح لهذا الكتاب ؟

(١) من نحاة مصر .

شجاعة العارفين

دخل ابن السماك على هرون الرشيد ، فلما وقف بين يديه قال له : عظنى يا ابن السماك وأوجز . قال ابن السماك : كفى بالقرآن واعظاً يا أمير المؤمنين . قال الله تعالى : « بسم الله الرحمن الرحيم ، ويل للمطففين ، الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون ، وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون. ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ، ليوم عظيم ، يوم يقوم الناس لرب العالمين » ؟ هذا يا أمير المؤمنين وعيد لمن طفف فى الكيل ، فما ظنك بمن أخذه كله .

مكتبتنا العربية

سور القرآن

فى مصحف عثمان ومصحف أبى بن كعب

لفضيلة الأستاذ الشيخ عبد المتعال الصعيدى

ذكرت فى المقالة الأولى كيف اعتمد أبو عبد الله الزنجانى فى ترتيب مصحف أبى بن كعب على ترتيب كتاب الفهرست له ، وأنه لم يمكنه إصلاح ما فيه من تحريف ، ولا تكميل ما فيه من نقص ، بل ضم الى التحريف تحريفا ، وإلى النقص نقصا ؛ وأريد هنا أن أذكر ترتيبه لهذا المصحف ، بعد أن ذكرت ترتيب الفهرست له فى المقالة الأولى ، ثم أتبع هذا بترتيبه الصحيح الذى جاء فى كتاب الإتقان للسيوطى .

وهذا هو ترتيب أبى عبد الله الزنجانى لهذا المصحف :

١	فاتحة الكتاب	١٢	الشعراء	٢٥	حم المؤمن	٣٨	الزخرف
٢	البقرة	١٣	الحج	٢٦	الرعد	٣٩	حم السجدة
٣	النساء	١٤	يوسف	٢٧	طسم	٤٠	إبراهيم
٤	آل عمران	١٥	الكهف	٢٨	القصص	٤١	الملائكة
٥	الأنعام	١٦	النحل	٢٩	طس	٤٢	الفتح
٦	الأعراف	١٧	الأحزاب	٣٠	سليمان	٤٣	محمد
٧	المائدة	١٨	بنى إسرائيل	٣١	الصافات	٤٤	الحديد
	الذى التبسته	١٩	الزمر	٣٢	داود	٤٥	الظهار
	يونس	٢٠	حم تنزيل	٣٣	ص	٤٦	تبارك
٨	الأنفال	٢١	طه	٣٤	يس	٤٧	الفرقان
٩	التوبة	٢٢	الأنبياء	٣٥	أصحاب الحجر	٤٨	الم تنزيل
١٠	هود	٢٣	النور	٣٦	حم عسق	٤٩	نوح
١١	مريم	٢٤	المؤمنون	٣٧	الروم	٥٠	الأحقاف

مكتبتنا العربية

٥١	ق	٦٦	عبس	٨١	الطارق	٩٤	العاديات
٥٢	الرحمن	٦٧	المطففين	٨٢	سبح اسم ربك الأعلى	٩٥	أصحاب الفيل
٥٣	الواقعة	٦٨	إذا السماء انشقت	٨٣	الغاشية	٩٦	التين
٥٤	الجن	٦٩	التين	٨٤	عبس	٩٧	الكوثر
٥٥	النجم	٧٠	اقرأ باسم ربك	٨٥	الصف	٩٨	القدر
٥٦	ن	٧١	الحجرات	٨٦	الضحى	٩٩	الكافرون
٥٧	الحاقة	٧٢	المنافقون	٨٧	ألم نشرح	١٠٠	النصر
٥٨	الحشر	٧٣	الجمعة	٨٨	القارعة	١٠١	أبى لهب
٥٩	الممتحنة	٧٤	النبى	٨٩	التكاثر	١٠٢	قريش
٦٠	المرسلات	٧٥	الفجر	٩٠	الخلع	١٠٣	الصمد
٦١	عم يتساءلون	٧٦	الملك	٩١	الحيد	١٠٤	الفلق
٦٢	الانسان	٧٧	والليل إذا يغشى	٩٢	اللهم إياك نعبد وآخرها بالكفار	١٠٥	الناس
٦٣	لا أقسم	٧٨	إذا السماء انفطرت				
٦٤	كورت	٧٩	الشمس وضحاها		ملحق الهمز		
٦٥	النازعات	٨٠	والسماء ذات البروج	٩٣	إذا زلزلت		

وقد فاتنا أن نذكر فى المقالة الأولى تحريفا من التحريفات التى وقعت فى هذا الترتيب ، ، وهو عده (اللهم إياك نعبد الخ) سورة غير سورة الحيد (الحفد) مع أنه ليس سورة غيرها ، وسورة بنى إسرائيل فى هذا الترتيب هى سورة الإسراء ، وسورة أصحاب الحجر هى سورة الحجر ، وسورة الملائكة هى سورة فاطر ، وسورة الظهار هى سورة المجادلة ، وسورة أبى لهب هى سورة المسد ، وسورة الصمد هى سورة الاخلاص ، ولا فرق بين مصحف أبى بن كعب ومصحف عثمان إلا فى تسمية هذه السور .

وإذا حذفنا السور المكررة فى هذا الترتيب نجد أن العدد الحقيقى لها هو ثمانية وتسعون سورة ، لا خمس ومائة سورة كما جاء فيه ، وهو ينقص عن العدد الصحيح لمصحف أبى بن كعب ثمانى عشرة سورة ، لأنه ست عشرة

مكتبتنا العربية

ومائة سورة ، فأما ترتيب كتاب الفهرست فينقص عن هذا العدد ست عشرة سورة . وقد كررت فى الترتيبين سورة التين أيضا .

وهذا هو ترتيب السيوطى لمصحف أبى بن كعب فى كتاب الاتقان قال : (فائدة) قال ابن أشتة فى كتاب المصاحف : أنبأنا محمد بن يعقوب ، حدثنا أبو داود ، حدثنا أبو جعفر الكوفى ، قال : هذا تأليف مصحف أبى :

الحمد ، ثم البقرة ، ثم النساء ، ثم آل عمران ، ثم الانعام ، ثم الأعراف ، ثم المائدة ، ثم يونس ، ثم الأنفال ، ثم براءة ، ثم هود ، ثم مريم ، ثم الشعراء ثم الحج ، ثم يوسف ، ثم الكهف ، ثم النحل ، ثم الاحزاب ، ثم بنى إسرائيل ، ثم الزمر أولها حم (١) ، ثم طه ، ثم الأنبياء ، ثم النور ، ثم المؤمنون ، ثم سبأ ، ثم العنكبوت ، ثم المؤمن ، ثم الرعد ، ثم القصص ، ثم النمل ، ثم الصافات ، ثم ص ، ثم يس ، ثم الحجر ، ثم حم عسق ، ثم الروم ، ثم الحديد ، ثم الفتح ، ثم القتال ، ثم الظهار ، ثم تبارك الملك ، ثم السجدة ، ثم إنا أرسلنا نوحا ، ثم الاحقاف ، ثم ق ، ثم الرحمن ، ثم الواقعة ، ثم الجن ، ثم النجم ، ثم سأل سائل ، ثم المزمل ، ثم المدثر ، ثم اقتربت ، ثم حم (٢) ، ثم الدخان ، ثم لقمان ، ثم حم الجاثية ، ثم الطور ، ثم الذاريات ، ثم ن ، ثم الحاقة ، ثم الحشر ، ثم الممتحنة ، ثم المرسلات ، ثم عم يتساءلون ، ثم لا أقسم بيوم القيامة ، ثم إذا الشمس كورت ، ثم يأيها النبي إذا طلقتم ، ثم النازعات ، ثم التغابن ، ثم عبس ، ثم المطففين ، ثم إذا السماء انشقت ، ثم والتين والزيتون ، ثم اقرأ باسم ربك ، ثم الحجرات ، ثم المنافقون ، ثم الجمعة ، ثم لم تحرم ، ثم الفجر ، ثم لا أقسم بهذا البلد ، ثم والليل ، ثم إذا السماء انفطرت ، ثم والشمس وضحاها ، ثم والسماء والطارق ، ثم سبح اسم ربك ، ثم الغاشية ، ثم الصف ، ثم سورة أهل الكتاب وهى لم يكن ، ثم الضحى ، ثم ألم نشرح ، ثم القارعة ، ثم التكاثر ، ثم العصر ، ثم سورة الخلع ، ثم سورة الحفد ، ثم ويل لكل همزة ، ثم إذا زلزلت ، ثم العاديات ، ثم الفيل ، ثم لايلاف قريش ، ثم أرأيت ،

(١) فى هذا تحريف سيأتى بيانه

(٢) هى حم الزخرف لانه لم يبق غيرها ، وقد ذكرت فى ترتيب الفهرست بعد الروم .

ثم إنا أعطيناك ، ثم القدر ، ثم الكافرون ، ثم إذا جاء نصر الله ، ثم تبت ، ثم الصمد ، ثم الفلق ، ثم الناس .

وعدد هذه السور عشر ومائة سورة ، فهو ناقص أيضا ست سور ، منها سورة (حم فصلت) ولعلها سقطت بالتحريف فى قوله (ثم الزمر أولها حم) لأن الزمر ليس أولها (حم) . ونص الفهرست هنا (الزمر ، حم تنزيل) ، ومنها (سورة إبراهيم) وهى مذكورة فى ترتيب الفهرست بعد (حم السجدة) ، ومنها (سورة الفرقان) ولعلها سقطت فى قوله (تبارك الملك) بسقوط حرف العطف ، والأصل تبارك والملك ، وسورة الفرقان مذكورة فى ترتيب الفهرست ، ومنها (سورة الملائكة) وهى مذكورة فى ترتيب الفهرست بعد (سورة ابراهيم) ومنها (سورة الانسان) وهى مذكورة فى ترتيب الفهرست بعد (سورة عم يتساءلون) ومنها (سورة والسماء ذات البروج) وهى مذكورة فى ترتيب الفهرست بعد (سورة والشمس وضحاها) وهذه هى السور الست الساقطة من ترتيب الاتقان ، وقد ذكر فى ترتيبه كل السور الساقطة من ترتيب الفهرست .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

وحينئذ لا يكون فى ترتيب مصحف عثمان سور ساقطة فى ترتيب مصحف أبى بن كعب ، ولا يكون بينهما خلاف إلا فى تقديم بعض السور على بعض ، لأن ترتيب السور بالتقديم والتأخير كان باجتهادهم ، ولم يكن بتوقيف من الله تعالى .

وينحصر الفرق المهم بين المصحفين فيما زاده أبى بن كعب من سورتى الخلع والحفد ، وهما ما أخرجه البيهقى عن عمر بن الخطاب أنه قنت بعد الركوع فقال : بسم الله الرحمن الرحيم ، اللهم إنا نستعينك ونستغفرك ، ونثنى عليك ولا نكفرك ، ونخلع ونترك من يفجرك ، اللهم إياك نعبد ، ولك نصلى ونسجد ، وإليك نسعى ونحفد ، نرجو رحمتك ، ونخشى نقمتك ، إن عذابك بالكفار ملحق — قال ابن جريج : حكمة البسملة أنهما سورتان فى مصحف بعض الصحابة .

وأنبأ الأجلح عن عبد الله بن عبد الرحمن عن أبيه ، قال : فى مصحف ابن عباس قراءة أبى وأبى موسى : بسم الله الرحمن الرحيم ، اللهم إنا نستعينك

مكتبتنا العربية

من أقباس النبوة :

بين يدى الرسالة الخالدة

لفضيلة الأستاذ كامل محمد عجلان
المدرس بمعهد القاهرة

على قدر ما تهفو نفوس الأمم الى الإشادة بنبل الذكريات والاحتفاء بمغارس المثل العليا ، يكون الحكم على حيويتها واستعدادها لرسالات الانسانية والتحرر من قيود الاستعباد بألوانه .

وفى كل يوم تباكرنا الشمس بعالم إنسانية رفعها « محمد بن عبد الله » تدفع القلب الى أن يعشو ضوءها .

نعم إنه أنقذ بدستوره وقوَّم بمناهجه ، وأسعد وأسعف شعوبا كادت تتخطفها الضلالات العقلية ، الترهات القلبية ، فرد إليها الجادة ، وألقى بين يديها صولجان السيادة ، ومهد لنعيم الحياتين ، وأعد العرب لتملك نواصى الأكاسر

ونستغفرك ، ونثنى عليك الخير ولا نكفرك ، ونخلع ونترك من يفجرك . وفيه : أللهم إياك نعبد ، ولك نصلى ونسجد ، وإليك نسعى ونحفد ، نخشى عذابك ، ونرجو رحمتك ، إن عذابك بالكفار ملحق .

ولا شك أن هذا هو دعاء القنوت ، وهو دعاء كان يدعو به النبى صلى الله عليه وسلم على مضر حينما غدرت بأصحابه من القراء ، وليس هو فى شىء من أسلوب القرآن ، وقد اشتبه أمره على أبى بن كعب ، وكل بشر معرض لمثل هذا الاشتباه ، وقد مات أبى فى خلافة عمر على الأرجح فى وفاته ، وكان هذا قبل أن يكتب عثمان المصحف الجامع ، ويستقر أمر المسلمين عليه ، ولو بقى أبى إلى زمن عثمان لعرف أمر تينك السورتين ، ورضى من المصحف الجامع ما رضيه جمهور أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم .

مكتبتنا العربية

من أقباس النبوة :

بين يدى الرسالة الخالدة

لفضيلة الأستاذ كامل محمد عجلان
المدرس بمعهد القاهرة

على قدر ما تهفو نفوس الأمم الى الإشادة بذبل الذكريات والاحتفاء بمغارس المثل العليا ، يكون الحكم على حيويتها واستعدادها لرسالات الانسانية والتحرر من قيود الاستعباد بألوانه .

وفى كل يوم تباكرنا الشمس بعالم إنسانية رفعها « محمد بن عبد الله » تدفع القلب الى أن يعشو ضوءها .

نعم إنه أنقذ بدستوره وقوّم بمناهجه ، وأسعد وأسعف شعوبا كادت تتخطفها الضلالات العقلية ، الترهات القلبية ، فرد إليها الجادة ، وألقى بين يديها صولجان السيادة ، ومهد لنعيم الحياتين ، وأعد العرب تتملك نواصى الأكاسر

ونستغفرك ، ونثنى عليك الخير ولا نكفرك ، ونخلع ونترك من يفجرك . وفيه : أللهم إياك نعبد ، ولك نصلى ونسجد ، وإليك نسعى ونحفد ، نخشى عذابك ، ونرجو رحمتك ، إن عذابك بالكفار ملحق .

ولا شك أن هذا هو دعاء القنوت ، وهو دعاء كان يدعو به النبى صلى الله عليه وسلم على مضر حينما غدرت بأصحابه من القراء ، وليس هو فى شىء من أسلوب القرآن ، وقد اشتبه أمره على أبى بن كعب ، وكل بشر معرض لمثل هذا الاشتباه ، وقد مات أبى فى خلافة عمر على الأرجح فى وفاته ، وكان هذا قبل أن يكتب عثمان المصحف الجامع ، ويستقر أمر المسلمين عليه ، ولو بقى أبى إلى زمن عثمان لعرف أمر تينك السورتين ، ورضى من المصحف الجامع ما رضيه جمهور أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم .

والقياصر ، وتجبى مراتع الشمس ، وتنشر الدين على تقوى من الله ورضوان ، وهو الدين القيم ، وفطرة الله .

* * *

يا حادي الركب ، يا وليد الصحراء ، ويا نجي السماء ! إنا هدنا الى عوارفك ، وإنا نخاف غلاب اليأس وطغيان التفكك الذي كافحته ، وسددت بعصم العقيدة خطوات كانت ترزح تحت أعباء الوثنية الحائرة .

* * *

يارحمة السماء لبيك! ويا من تطربون للذكرى لتهنكم نشوة الفرح بين جوانحكم ! فان الذكرى تنفع المؤمنين ، وتوقظ المصفدين السادرين فى خدع تغرى بجلجلاتها فتذيم على سحر الغفوات .

* * *

يا رسول الانسانية ! ما شيء تتوهم جماع الكمال إلا أربيت فى بطولتك عليه وتساميت على غايته . أى رسول الله ما تلفت حائر فى ظلام الحياة ومتايه العالم إلا وكان هتافك به سبيل النجاة ، وما اجتمعت حضارات على مأمل سام للقرائح ونتاج العبقريات قديما وحديثا إلا وكنت المهتدى الى معينه والداعي الى ورده « وما ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحي يوحى ، علمه شديد القوى » .

سبحان ربى « هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله » .

تعالى الله ! بعث بالحق ودين المساواة « كلكم لآدم وآدم من تراب . لا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى » . « الناس سواسية .

جل الله ! أرسلك حربا على المتألهين ، وسيفا يمحق الصلف . تدفع بالتى هى أحسن ، وما أنت من المتكلفين . تكافح مستلهما الصبر مدرعا بالشجاعة ، وتنذر قوما لدا ينضحونك بألسنة حداد ، وإن يقولوا تسمع لقولهم .

يا رسول الله ! صابرت وتنظرت ، وضربت للناس الأمثال فى سعة الحيلة ، وألقيت دروسا فى الكفاح البيانى والاجتماعى والسياسى والدينى ، للنشر

الدعوة تحت راية القرآن ودستور العالم « وإنه لتنزيل رب العالمين ، نزل به الروح الأمين . على قلبك لتكون من المنذرين » « ما فرطنا فى الكتاب من شىء » « كتاب أحكمت آياته ثم فُصّلت من لدن حكيم خبير » .

* * *

أى رسول الله ! أنت أول مصلح ثار على التقاليد النخرة ، وحطم أصنام العادات ، وهدم سياسات فاشلة ، ليقيم حكما رشيدا قوامه صالح الفرد وحاجة الجماعة .

وأول إنسان نادى بفك قيود الانسان وحرية الشعوب ، ورجوعها فى تقرير مصايرها الى معدلة رأيها « وأمرهم شورى بينهم » ، لا حكم للفرد المستبد باسم القبيلة ، أو اسم « السلطان » .

إن الأمير إذا ابتغى الريبة فى الناس أفسدهم ، ولا يزال الناس بخير ما تعاونوا : « وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان » .

* * *

مركز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

أنت أول ممن فى محو الفوارق بين الطبقات « للفقير حق فى مال الغنى ، وللسائل والعاجز نصيب من تثمير القوى » .

آخيت بين الأنصارى والمهاجرى ، فجمعت من الفلول المتناحرة أمة سادت وإخوة تآلفت .

« واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا » .

أنت أول من نادى ونفذ فكرة الاتحاد والتحالف بين الشعوب . وهل الاسلام إلا تآزر سياسى وثقافى واقتصادى ؟ « إنما المؤمنون إخوة » . « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يُسلمه » .

* * *

ياحادى الحياة ! أنت رمز الإخلاص فى الدعوة ، وأنت أنت الأسوة

الحسنة ، سعة صدر ، وسجاحة نفس ، وطلاقة لسان ، وقوة حجة «جاءه قومه يوهنون من عزماته فقالوا : ما نعلم رجلا من العرب أدخل على قومه مثل ما أدخلت ، وأغروه بالمال والملك، فأجابهم : ما جئت بما جئتكم به أطلب أموالكم ، ولا الشرف فيكم ، ولا الملك عليكم ، بعثنى الله اليكم رسولا ، وأنزل على كتابا ، وأمرنى أن أكون لكم بشيرا ونذيرا » .

ويسرفون فى التحدى والتعجيز « وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجُر لنا من الأرض ينبوعا ، أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجّر الأنهار خلالها تفجيرا ، أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا ، أو تأتى بالله والملائكة قبيلا ، أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى فى السماء ، ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه . قل سبحان ربى هل كنتُ إلا بشرا رسولا » .

مبلغ من العناد ، وتطرف فى الاستخفاف ، يغضى عنه الرسول ويمضى فى دعم الرسالة وإصلاح المجتمع الموفى على جرف الهاوية .

« فأما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض » .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

* * *

إنه النبى يدعو مخافتا ثم يجهر « فاصدع بما تؤمر » ، ويظل مسالما بمكة يتحمل الأذى ، ويقدم على القبائل فى معرض الكفاح الطاغى ؛ وفى الطائف موطن (الارستقراطية) ومصيف السراة يناله عنت السادرين ، فيضرع الى السماء « اللهم إنى أشكو إليك ضعفى وقلة حيلتى وهوانى على الناس » .

ولكن القوة الإلهية تشد أزره ، ويهاجر ويحارب ، وتعلو دعوته فيهادن ويصالح ، ويعاهد ويحالف ، ويستقبل الوفود ويخطبها ، ويتلمس آراءهم ويزودهم منقلبين الى أوطانهم بأسلحة الإيمان وبوجههم ويبث فيهم من روحه ودين الله الغالب على الدين كله : « واعتصموا بحبل الله » « وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم » . « ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم » . ويزجى قوانين الخلود الباقية ما دامت السموات والأرض . ذاك إعجاز الانسانية يجبه الدنيا بأصول الاجتماع وفنون الحرب المدافعة ، وأفانين الاقتصاد ومبادىء الشورى ، ويفتح آفاق

الحرية ودنيا الجمال ومتاع الخير، فتنساق الجموع أفواجا الى دين الله تحت راية « محمد » الرفيق المتواضع « عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم » .

وإذا الصفوف تمطى على صولة الباطل فتستخذى العداوات، وإذا المناوىء « كأنه ولى حميم » .

* * *

والرسول : لقد زاده الله بسطة فى الشمائل ، ووهبه الحياء وعمق التأمل وسمو النفس « وإنك لعلى خلق عظيم » .

يكظم الغيظ ، ويعفو عن المخطىء ، ويعطف على أصحابه ، ويقربهم، وإنهم ليتهيبونه حتى ليقول واحد منهم « ما تكلمت مذ بعث رسول الله إلا مزمومة مخطومة » .

وكان الرسول إذا خلا فى بيته ألين الناس بساما ضحاكا ، تلك منة السماء وهبتها الخالدة .

« لقد منَّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ، وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين » .

إى وربى « لقد حف بالعصمة ، وشد بالتأييد ، لم تسقط له كلمة ، ولا بارت له حجة ، ولا أفحمه خطيب ، ولم يسمع الناس بكلام قط أعم نفعا ، ولا أصدق لفظا ، ولا أعدل وزنا ، ولا أجمل مذهبا ، من كلام رسول الله » . « أوتيت جوامع الكلم ، واختصرت لى الحكم اختصارا » .

* * *

وما أنا ببالغ إلا طواف القلم المصفد فى أقباس شمة لا طاقة له بإشراقاتها .

وإنى لأبعث مع أنفاسى تحايا الى من أدبه ربه فأحسن تأديبه ، وأرسله رحمة للعالمين . والسلام عليه فى الأولين والآخرين ؟

كيف نثبت أن للعالم خالقا

لحضرة الأستاذ نظام الدين عبد الحميد

لا يزال الصراع قائما بين فلسفتين فى العالم : فلسفة مادية تعتقد بقدم العالم ووجوده منذ الأزل وعدم كونه معلولا لعلة سبقته وأثرت فى إيجاده ، وهو يبقى إلى الأبد دون أن يلحقه الفناء ، وطرأ فيه الحياة عن طريق الصدفة فنمت وتطورت — الحياة — إلى أن أخذت شكلها الحالى . وأنصار هذه الفلسفة ملاحدة يرفضون كل شىء لا يخضع لنظام المادة وقوانينها ، فوجهوا جل اهتمامهم نحو المادة فأنكروا وجود كل شىء خارج عن نطاقها ، فأدى بهم الأمر الى إنكار وجود خالق صاحب قوة لا متناهية يتصرف فى الكائنات ، وهو الله سبحانه وتعالى عما يقولون ، فكل شىء لا تشمله دائرة الحواس مرفوض لديهم .

وفلسفة أخرى لا ترى فى المادة قوة تستطيع أن تنشىء نفسها بنفسها ، لأن الشىء يستحيل عقلا أن يكون خالق نفسه ، بل لا بد من كائن حى لا متناه غير محدود أن يتصرف فى الكون إيجاداً وإعداماً ، أظهر العالم من العدم إلى الوجود بلا واسطة ولا مساعدة ، مختار فيما يشاء وكيفما يشاء ، وهو علة العلل ، غير محتاج فى وجوده إلى أثر ، وهو موجود منذ الأزل لا بداية لأوله ولا نهاية لآخره .

فنرى أن اتجاه الفلسفة الأولى يسير على نقيض الفلسفة الثانية ، فعلينا أن نتبين الحقيقة ونأخذ العدة التى نستطيع بها أن نحاج كل مارق عن الصواب ونرده الى طريق الحق بالأدلة العقلية المنطقية المقنعة ؛ ولكن قبل أن ندخل الموضوع يجمل بنا أن نشير الى أن هذا الصراع كان موجوداً منذ القديم بين فلاسفة الإغريق بعضهم مع بعض ، وكذلك بين بعض فلاسفة الاسلام ، ولكن اتجاه فلاسفة الاسلام لم ينطو على الإلحاد . فبعض الفلاسفة القدامى من اليونان توجهوا شطر الانكار والالحاد وقالوا بأزلية العالم من دون

مكتبتنا العربية

أن يسندوه الى موجد اقتضت إرادته الوجود . وبعضهم عللوا الكون بأنه لابداية لأوله ، أى غير مسبوق بالعدم ، ولكنهم أسندوه الى إله يهيمن على شئون العالم ، فقالوا إن وجود الإله تقدم ذاتاً ورتبة على وجود الكون لازماناً ، فاستلزموا من أزلية الإله أزلية الكون دون أن يجعلوا حداً فاصلا بين الوجودين ، فتقدم البارى على الكون كتقدم المقدمة على النتيجة لا تقدماً زمانيا ، فشبهوا هذا بانبعاث الضوء من الشمس حيث لا يوجد هنالك فترة زمنية بين قرص الشمس وشعاعه ، فمنذ أن وجدت الشمس وجد معها الشعاع ولم يستقل القرص بذاته فترة زمنية مطلقا . وأيد هذا الرأى بعض فلاسفة الاسلام مثل قسم من علماء المعتزلة وغيرهم كابن رشد ، شارح أرسطو الذى تأثر بفلسفته ومنطقه ، والبعض الآخر — من فلاسفة الاسلام — قرروا أن البارى جل وعلا أحدث العالم بقدرته من لا شىء فأوجده بعد أن لم يكن له أثر ، وقالوا إن أزلية البارى لا تستلزم أزلية الموجودات قطعا ، ودافع عن هذا الرأى حجة الاسلام الامام الغزالى فى كتابه المعروف بتهافت الفلاسفة فبين أغلاطهم وأشار الى مواطن ضعفهم .

وبعد هذه التوطئة يحق لنا أن نرجع الى أصل الموضوع لنحاول إثبات حدوث العالم وعدم أزليته ، وإثبات وجود الخالق . فإذا نظرنا الى الموجودات كلها لا نرى إلا المادة مع مظاهرها القائمة فيها ، فالمتكلمون سموا المادة فى عرفهم بالجوهر ، وعرفوه بأنه قائم بذاته غير معتمد على غيره فى وضعه ، وسموا مظاهر المادة بالعرض ، وعرفوه بأنه قائم على غيره مثل الطول والعرض والحركة والسكون الخ ، فلا يمكن أن تتصور مدلولات هذه الأسماء مستقلة عن غيرها لأنها مجرد معان يتوقف وجودها على وجود شىء آخر ، أى أن وجودها يستلزم وجود مادة لتحل فيها .

فلا يمكن أن تخلو المادة من الأعراض مطلقا ، فكل مادة لابد أن يكون لها طول وعرض ولون وشكل الخ ، وهذه كلها أعراض ومظاهر من مظاهر المادة ، وبعبارة أخرى تجب اللازمية والملزومية بين الجواهر والأعراض ، ولا يمكن انفصال هذه عن تلك أو تصويرها بصورة من الصور . وبعد هذا نقول :

إن الأعراض كلها حادثة بالمشاهدة ؛ فأنت تقوم بعد قعودك ، وتقعد بعد قيامك ، وتمشى بعد وقوفك ، وتقف بعد مشيك ، وتصنع شكلا هندسيا ذا أعراض متعددة من طول وعرض وحجم ، ففى كل هذه الأحوال أحدثت أعراضاً لم يكن لها وجود قبل أن تقوم بها ، أى كانت مسبوقة بالعدم وأحدثته إحداثا ، فما دامت الأعراض الملازمة للجواهر حادثة بالبداهة يلزم أن تكون الجواهر أيضا حادثة لملازمتها الأعراض الحادثة دائما ، فلو لم تكن حادثة لانتفت بينهما اللازمية والملزومية وهـذا محال . إذاً العالم من جواهر وأعراض أو بعبارة أخرى : المادة مع جميع مظاهرها حادثة مسبوقة بالعدم غير أزلية لم تكن فـكانت . وبعد أن ثبت عندنا هـذا نحاول أن نقف على حقيقة أخرى وهى هل يمكن ظهور العالم وحدوثه من غير سبب محـدث ؟ أو هل نحقق وجود العالم بدون خالق ؟ فالجواب على هذا السؤال يكون بالنفى طبعا ، لأن الأثر يدل على المؤثر ، وأن العقل لا يتصور المصنوع من دون أن يجزم بوجود الصانع . إذاً المخلوقات جميعها تشهد وتدل على وجود خالق أثر فى الخلق وأظهر الشىء من العدم الى الوجود ، وهو قديم أزلى غير محتاج فى وجوده الى خالق أثر فيه ، فلو كان كذلك لاستلزم أن لا يكون خالقا أصلا ، لأن المفتقر الى غيره فى وجوده لا يمكن عقلا أن يكون علة للخلق قطعا . إذاً فالله سبحانه وتعالى أحد صمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد .

وبعد هذا نحن عرفنا أن الماديين لا يعترفون بوجود شىء فى الوجـود زائد على المادة ، فالمادة عندهم هى الكل فى الكل ، فهى أزلية غير مسبوقة بالعدم ، ولـكنهم بجانب هذا يعترفون بأن الحياة القائمة فى المادة غـير أزلية ، فهنا يحق لنا أن نطلب منهم أن يظهروا لنا كنه الحياة ويعرفوا حقيقتها تعريفا ، فلا يخلو الحال إما أن يقولوا إن الحياة ذاتها ليست شيئا زائدا على المادة بل إن الحياة هى نفس المادة ولا تختلف عنها عنصراً ، فهذا خلاف مدعاهم لأنهم يقولون بقدم المادة وحدوث الحياة ، ومعنى ذلك أن الحياة شىء والمادة شىء آخر ؛ إذاً فكيف يجوز لهم أن يصفوا الحياة بالمادة ؟ فهذا تناقض صريح . وإما أن يقولوا إن الحياة شىء يختلف عن المادة فى الماهية ، فهذا يكذب

مكتبتنا العربية

وحدة الدين

لحضرة الأستاذ محمد يوسف خليفة

الدين هو شعور غريزى فى الإنسان بأن هناك قوة عظمى تدير هذا الكون وإليها مرجع الأمر كله .

وقد أخذت الجماعات البشرية منذ تكوينها تتقرب لخالقها ، كل على حسب استعدادها العقلى والاجتماعى ، فنها من عبدت الأصنام توهما أن روح الله حلت فيها ، وقدست الشمس والكواكب ، وألهت الملوك ، كما كان يفعل أهل مصر وبابل الأقدمون .

ولا يخلو تاريخ أمة من الامم سواء كانت من أعرق الأمم مدنية ، أو أحطها همجية ، من الدين أو ما يرمز اليه ، فآثار بابل وفارس والصين ، وأطلال مصر

دعواهم ويظهر تناقضهم أيضا لأنهم لا يعترفون إلا بالمادة . وإما أن يقولوا لا نعرف ماهية الحياة وحقيقتها هل هى شىء يختلف فى الماهية عن المادة ، أم هى نفس المادة ؟ فعندئذ نقول لهم : إن فلسفتكم إذاً مبنية على الجهل والباطل فليس لكم حق فى أن تتجاهروا بها وتضللوا العقائد والأفكار .

ولا شك أن التنويم المغناطيسى والاتصال بالعالم الروحانى فى وقتنا الحاضر أكبر برهان على خطأ الماديين . وحسب العاقل أن يتأمل الكون ليستدل به على وجود الله صاحب القوة الهائلة اللانهائية منه الوجود وإليه المرد « إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون » . صدق الله العلى العظيم . وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .

مكتبتنا العربية

وحدة الدين

لحضرة الأستاذ محمد يوسف خليفة

الدين هو شعور غريزى فى الإنسان بأن هناك قوة عظمى تدير هذا الكون وإليها مرجع الأمر كله .

وقد أخذت الجماعات البشرية منذ تكوينها تتقرب لخالقها ، كل على حسب استعدادها العقلى والاجتماعى ، فنها من عبدت الأصنام توهما أن روح الله حلت فيها ، وقدست الشمس والكواكب ، وألهت الملوك ، كما كان يفعل أهل مصر وبابل الأقدمون .

ولا يخلو تاريخ أمة من الامم سواء كانت من أعرق الأمم مدنية ، أو أحطها همجية ، من الدين أو ما يرمز اليه ، فآثار بابل وفارس والصين ، وأطلال مصر

دعواهم ويظهر تناقضهم أيضا لأنهم لا يعترفون إلا بالمادة . وإما أن يقولوا لا نعرف ماهية الحياة وحقيقتها هل هى شىء يختلف فى الماهية عن المادة ، أم هى نفس المادة ؟ فعندئذ نقول لهم : إن فلسفتكم إذاً مبنية على الجهل والباطل فليس لكم حق فى أن تتجاهروا بها وتضللوا العقائد والأفكار .

ولا شك أن التنويم المغناطيسى والاتصال بالعالم الروحانى فى وقتنا الحاضر أكبر برهان على خطأ الماديين . وحسب العاقل أن يتأمل الكون ليستدل به على وجود الله صاحب القوة الهائلة اللانهائية منه الوجود وإليه المرد « إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون » . صدق الله العلى العظيم . وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين ؟

الفرعونية ، وخرائب الهند القديمة ، ومخلفات القبائل المندثرة بالمكسيك ، كلها تشهد وتنطق بملازمة الدين للإنسان ، فى مختلف أطواره وأقطاره .

وما الوثنية ، على أنها ضلال عظيم ، إلا مظهر محسوس للعاطفة الدينية حادت عن مرماها الصحيح ، وما المذاهب الدينية المختلفة إلا وسائل اتخذها أصحابها طرقا للهداية فأصاب بعضها أغراضها ، وخاب بعضها عن الوصول الى الغايات المرجوة .

ولما كان النظام الكونى بنى على سنن منظمة ، وكان النوع الانسانى من أكرم الكائنات الكونية ، فقد شاء الخالق جل شأنه أن لا يترك الناس سدى ، أو يدعهم يتخبطون فى دياجير العماية والجهل ، فاختص برحمته فريقا منهم وهم الأنبياء ، فكانت صدورهم جهازات استقبال لتلتقط من الملأ الأعلى قبسا من النور والمعرفة ، وإذاعته على الجماعات البشرية كل بما يلائم زمانه واستعداده .

والمتتبع لأطوار الأمم يدرك بعد تعمق أن أديان الجماعات الانسانية فى كل زمان ومكان ، استمدت وجودها من ينبوع واحد ؛ وقد بين ذلك القرآن الكريم بجلاء حيث قال « شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا والذى أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه »

والمتتبع أيضا لأطوار الأمم وتاريخ الأديان يدرك أن الغاية أيضا واحدة كوحدانية المصدر ، وقد بنى الدين على شيئين اثنين هما : توحيد الله ، والحض على الفضيلة ؛ وقد أشار الى ذلك القرآن حيث قال تعالى « وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى اليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون » .

وهناك آيات كثيرة فى القرآن تبرهن على وحدة الدين العام للبشرية ، كقوله تعالى « قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على ابراهيم واسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون » . وليست كلمة إسلام خاصة بالدين المحمدى كما يظن البعض ، بل هى علم أطلقه الله على الدين الحق الذى جاء به جميع الأنبياء ؛ وقد أشار القرآن الى ذلك فى آيات كثيرة ، منها بعد أن ذكر قصة

مكتبتنا العربية

إرسال عيسى عليه السلام لبنى اسرائيل قـوله تعالى « فلما أحس عيسى منهم الـكفر قال من أنصارى الى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون » وقـوله تعالى « ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ، ولقد اصطفيناه فى الدنيا وإنه فى الآخرة لمن الصالحين . إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين . ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بنى إن الله اصطفى لـكم الدين فـلا تموتن إلا وأنتم مسلمون . أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوبَ الموتُ إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدى؟ قالوا نعبد إلهك وإله آبائك ابراهيم واسماعيل وإسحق إلها واحـدا ونحن له مسلمون » وقـوله تعالى على لسان ملـكة سبأ حينما قدمت على سليمان عليه السلام ورأت من عجائب ملـكه وبديع صنعه « قالت رب إنى ظلمت نفسى وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين »

هذه براهين قرآنية على وحدة الدين العام للبشرية ، تكشف لنا سر قوله تعالى « إن الدين عند الله الاسلام » وسقناها هنا للماديين الذين يتحاملون على الأديان بدعـوى أنها تختلف فى جوهرها ومرماها ، وأن كل نبى يجىء من عنده بدين يناقض سابقيه ، وهو قول الذين لم يقفوا إلا على قشور المسائل الدينية .

فالدين واحد كما بينا وبيّن القرآن ، والاختلاف فى التشريع يرجع لاختلاف الامم فى أحوالها الاجتماعية ، وطبائعها النفسانية ، وهى حكمة بالغة ، فما يطبق الآن من النظم فى فرنسا غير ما يطبق فى كندا ، وما يعامل به الهنود غير ما يعامل به المصريون ، وهلم جرا .

وقـد اختتم الله الأديان بالدين المحمدى لبلوغ النوع الانسانى درجات الـكمال العقلى ، فبعد أن كان الانبياء يتتابعون بالتبشير بالدين العـام كل فى حدود قومه وإقليمه ، جاء نبى العرب فنادى بأنه خاتمهم ، وبأنه بعث للناس كافة فى جميع أنحاء الارض ، وأنه أتاهم برسالة تنسخ ما قبلها من الشرائع مع الاعتراف بأنها من عنـد الله ، وأظهر للناس كنه الدين الحق ، وحذرهم من العقائد المصنوعة التى لاثتها الآراء البشرية ، وترك من بعـده شريعة خالدة تصلح لإقامة أكرم مدنية وتكوين أرقى أمة ؟

مكتبتنا العربية

التأليه وعلائقه بالعلم

لحضرة الدكتور محمد غلاب
أستاذ الفلسفة بالجامعة الأزهرية

—

تمهيد :

إن الحل العقلى الذى أشرنا اليه فى المقال السالف وهو الحل الذى قرره ديكارت للقضاء على معضلة العداء الظاهرى بين الدين والعلم والذى كان من مبادئه الأساسية أن يترك للديانات الموحى بها سلطان التصرف التام فى دواخل إطاراتها الخاصة . والذى ارتضاه كل المؤمنين المتعمقين لم يكن هو الحل الوحيد الذى ساد القرن السابع عشر ، فبينما كان ينمو ويتثبت ويتخذ سبيله نحو الكمال كان إلى جانبه رأى عقلى آخر ينشأ ويترعرع ويحتل فى البيئات الفلسفية منزلة لا يستهان بها . وبيان ذلك أن الفيلسوف الانجليزى « جون لوك » John Locke قد أعلن فى الوقت ذاته مبادىء حل جديد لتلك المعضلة يتحتم أن ينتهى إلى نشوء ما يمكن أن يدعى بمذهب « التأليه العقلى » « Déisme rationaliste » أو بالدين الطبيعى Religion naturelle وهو ذلك المذهب الذى لم يلبث أن اشتهر وظفر فى نهاية القرن السابع عشر ، وعلى الأخص فى القرن الثامن عشر ، بعدد عظيم من الأنصار نخص بالذكر من بينهم « فولتير » و « فريدريك الثانى » ملك بروسيا ، والفيلسوف الألمانى « كريستيان فولف » . واليك مجمله :

مذهب التأليه العقلى :

يصدر الفيلسوف التجريبى لوك فى مذهبه هذا عن عقيدة عملية مؤداها أن فكرة التأليه — كجميع أفكارنا — قد نشأت من التجربة وإن كان لمساهمة النشاط العقلى فيها حظ لا يجحد . ومن دلائل هذا أن برهان وجود

مكتبتنا العربية

الله عند ذلك الفيلسوف ينحصر فى أنه استنتاج من وجودنا الشخصى الذى هو نوع من الحدس أو البداهة كما يقول ديكارت . فمن ذلك الوجود الفردى يستخلص المرء وجود العالم، ثم يرتقى منه إلى وجود الاله ؛ وعلى هذا الأساس يمكن أن يبسط مذهب التأليه العقلى اللوكى فينتهى إلى التحديد الآتى :

إن الفرد يستطيع أن يعثر على كل عناصر حياته الخلقية والدينية فى تجاربه وتعقلاته ، ولكن ينبغى أن نعلم بديا أن العقل عند هؤلاء القوم يتعارض مع التقاليد ومع جميع السلطات الخارجة عن نطاقه وينبذ جميع العقائد التى تتعدى فكرنا البديهية ، أو تتجاوز الطبيعة التى نحن جزء منها ، ولهذا هو يصرح بأنه يلفظ كل الأسرار والمعتقدات الآتية عن طريق الديانات الموحى بها ولا يحتفظ منها إلا بيقينين اثنين ، أولهما وجود الله كمهندس لهذا الكون ، وثانيهما خلود النفس كشرط من شروط تحقيق العدالة . ولقد اعتبر أولئك المؤلهون العقليون آراءهم هذه فى نفس الموقف الذى تقف فيه علوم الطبيعة فجزموا بأن الحقائق الطبيعية والحقائق الأخلاقية متجانسة ، وهم لا يعزون إلى الله أى فعل يمكن أن يصطدم مع النواميس الآلية التى قررها العلم . ولا جرم أن هذه الآراء متعارضة بطبيعتها مع العقيدة المسيحية ، لأن الإله قد صار — فى نظر هذا الفريق — يتمثل فى العجائب الكونية التى يحللها العلماء ليبرزوا ما تحتويه من حكم دقيقة ، ولم يعد يتمثل — كما تقول الديانات السماوية — فى الوجدانات البشرية مساوقا للشعور بالخطيئة أو بالسقوط أو بالنجاة أو ما الى ذلك من الأحاسيس التى ترافق وجوده دائما فى دخائل القلوب .

وقصارى القول أن خاصية هذا المذهب العقلى التأليهى هى تجريد الدين من كل عناصره الفطرية المميزة له وتصييره قاصرا على عدة قواعد نظرية جافة هى أقدر على إشباع رغبة التعقل منها على إرضاء النفس الإنسانية ، وفوق ذلك فان تلك التدليلات العقلية فى زعمهم على وجود الله وعلى خلود النفس كانت فى نظر المحايدين جد بعيدة عن أن تظفر بالبداهة التى زعموا تحققها فى دعائم قضاياهم . ولهذا لم يكن من المدهش أن تنشأ فى ذلك العهد معارضات قوية ضد هذا المذهب العقلى الذى كان يحاول تجفيف الديانات الى هذا الحد

مكتبتنا العربية

البغض ، ولقد كانت تلك المعارضات تبدو فى مظهرين مختلفين ؛ فأما أولهما فقد سلك طريقه إلى إنشاء فلسفة خلقيه دينية ترمى الى الاعتماد على العناصر الطبيعية المتعارضة مع العقل كالعاطفة والغريزة واعتبارها أسسا جوهرية لمبادئها واتخاذها إياها كدعائم ثابتة لقواعدها . وأما ثانيهما فهو حل عقلى جديد يهدف نشاطه [illegible] بوضع تعريف خاص للصلة بين الدين والفلسفة ، وهو يصدر فى هذا التعريف عن وجهة نظر أخرى غير التى صدر عنها مذهبا ديكارت وليبنتز العقليين ، وسيكون « كانت » وتلاميذه المباشرون حملة لوائه والناصحين عن مبادئه فى عصرهم بكل ما أوتوا من قوة . وعلى أى حال فنحن سنعنى اليوم فى هذه المحاولة بتتبع سير المظهر الأول من مظهرى تلك المعارضة ، وإليك البيان :

مذهب التأليه الطبيعى « Deisme naturaliste »

لم يكد مذهب لوك ١٦٣٢ – ١٧٠٤ ينتشر فى انجلترا حتى اشتمل حوله [illegible] كثير من [illegible] حركة رد فعل قوى يمكن أن نجمله فيما يأتى :

كان من الطبيعى أن تنشأ عن [illegible] وأن ترد فى هذه المعضلة أفكار جديدة هى وجهة البحث و[illegible] الترجيح والتوجيه والاسترشاد بالعقل تارة ، والركون إلى العاطفة [illegible] تارة أخرى ، ومتابعة إشراقة حينا والانحدار الى حضيض هوى [illegible] وهذا هو الذى حدث فعلا ، فقد هبت طائفة من المفكرين تأسست [illegible] معارضة تامة فى كل أنواع التفلسف الفكرى والتى لا تعترف [illegible] من دائرة العقل إلى دوائر أخرى ، وهذا التخلى فى [illegible] « بتلر » ١٦٩٢ — ١٧٥٢ « Butler » أنه يتجه بالمقياس الخلقى إلى [illegible] الضمير ، ويجزم « هوتشيسون » ١٦٩٤ — ١٧٤٧ « Hutcheson » أنه يلتجئ إلى الحاسة الخلقية ، ويصرح « داود هوم » ١٧١١ — ١٧٧٦ « David Hume » بأنه يعتمد فى أخلاقه على الجاذبية

مكتبتنا العربية

الطبيعية التى تربط الانسان بالانسان . وترى المدرسة الايكوسية أنها لاتتردد فى القول بوجوب هدم دعائم الجدل العقلى فى جميع الشؤون حتى إذا قوضت أبنيته من أسسها وأزالت أنقاضهـا أحلت محلهـا صروح البدائه الفطرية أو التجـارب المباشرة ، وفى هـذا يقـول « توماس ريد » ١٧١٠ — ١٧٩٦ «Thomas Reid» وهو أحد أعيان هذه المدرسة ما موجزه

ليس لجميع معارفنا سوى أساس واحد وهو الفروض الغريزية التى لايمكن أن تتطرق الريبة إليها أو تنال منها أدنى منال . ولا جرم أن تلك الفروض هى التى تحكم كل آراء بنى الإنسان وسلوكهم فى جميع مناحى الحياة وتسودها فى قوة غير قابلة للمغالبة . وفوق ذلك فإن تلك الفروض هى مبادىء الأسس العقلية كما هى سابقة على كل تفلسف ، وهذه [illegible] سلطان أقوى من سلطان كل تفلسف . ومن أمثلة هـذه البدائه [illegible] العالم الخارجى والايمان بوجود النفس .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

أما الإطار الخاص الذى نحن بصدده [illegible] جان جاك روسو » ١٧١٢ — ١٧٧٨ «Jean Jacques Rousseau» [illegible] الذين أضرموا فيه لهيب الثورة الفكرية التى [illegible] وكادت تشمل القرن الثامن عشر كله لا [illegible] العقلية الأوربية [illegible] لم يكن [illegible] الأولى ومبادئه الأساسية دائمة لدى أهل [illegible] فى الهواء على حسد لعبر الفرنسيين [illegible] العلوم والفنون » التى نشرها فى سنة [illegible] قد أحدثت حماسا فائقا فى جميع الأصقاع [illegible] .

لم ينتزع « جان جاك رسو » من تأملاته الفكرية ولا من مطالعاته الخاصة شيئا يذكر من مبادىء مذهب التأليه الطبيعى ، وإنمـا انتزعها من حياته الداخلية وأخلاقه الشخصية . وتجعل هذه الآراء أن العاطفة هى فى ذاتها مبدأ

مكتبتنا العربية

مستقل مطلق من كل قيد ، وسيادته على العقل ثابتة إلى حد يحملنا على الجزم بأن أفكارنا ليست فى أكثر الأحايين إلا أبنية منطقية أو روايات اخترعتها أذهاننا أو تخيلاتنا لتعلل بها عواطفنا . ويمكن القول بأن أفكار روسو عن الدين لا تتعدى فى العموم هذه المبادىء . ومهما يكن من الأمر فينبغى أن نقرر هنا أن هذا المفكر لم يتأثر بفكرة « العلة الغائية » التى كانت ذائعة فى عصره ، وليس الاتساق المتغلغل فى كل عناصر الطبيعة أو الانسجام الشامل لجميع أجزاء الكون المادية وجزئياته المعنوية ، أو النظام الدقيق الذى احتوى الوجود كله وهو يسير ظواهره السماوية وأحداثه الأرضية فى أتم إحكام وأكمل إتقان ، ليس شىء من هـذا كله هو الذى حمله على الايمان بالله كما حمل غيره من أعيان الفلاسفة وأفذاذ المفكرين ، وإنما الذى كان عنده بمثابة دعامة هذا الاعتقاد هو شعوره القلبى القوى بالحاجة الملحة إلى الايمان ، وإحساسه بعدم القدرة على [illegible] الارتياب . وإذاً فاحساسه بضرورة الإيمان قد سبق اعتقاده بوجود الله ، وهذا الاعتقاد قد سبق عنده ملاحظة ما فى الـكون من جمال و[illegible] فصرح بأنه لا يؤمن بالله لأن مصنوعاته [illegible] تلك المصنوعات لا تبدو له بهـذا [illegible] لا [illegible] وجود الله .

ولا [illegible] من بعض الوجوه بأحد آراء ابن سينا الذى [illegible] لا على وجود الصانع ، ويقرر أن الواجب هو [illegible] وجود البارى على وجود كل جمال واتساق ، [illegible] القرآن : « أو لم يكف بربك أنه على كل شىء شهيد » .

وإنما احترزنا [illegible] بعض الوجوه عن تبادر تمام الشبه بين الرأيين ، لأن رأى الشيخ الرئيس مؤسس على دعائم عقليـة ، أما رأى روسو فهو منبثق من الشعور النفسانى بالحاجة الى الايمان كما أسلفنا .

وأياما كان ، فنحن إذا نظرنا الى دين جان جاك روسو من خلال مظاهره

مكتبتنا العربية

الخارجية ألفينا أنه لايكاد يختلف عن مذاهب الفلاسفة المقلدين ، ولكننا إذا نظرنا الى أعماقه هالنا مابينه وبين تلك المذاهب من فروق جوهرية أخصها النبع الذي انبثقت منه مبادئه ، فليست تلك المبادىء مذهبا مؤسسا على تعقلات منطقية تؤيدها الحجج وتسندها البراهين وإنما هي نتائج حتمية لتدفقات نفسية أي أن الدين في رأيه ينبجس من القلب والعاطفة والوجدان كنبع أولى طليق من جميع القيود . ولقد بلغت به العاطفة الدينية حدا لا يحتمل فكتب في مؤلفه الشهير « إميل » «Emile» هذه العبارة : « احتفظ بنفسك في حالة الرغبة القوية الدائمة في وجود الاله ، فإنك اذا فعلت لن ترتاب في وجوده أبداً » .

من هذا الادراك العاطفي للدين وعلى ضوء هذه الآراء الخاصة نستطيع أن نحدد العلاقة الجديدة التي استقرت بينه وبين العلم في ذلك الحين الذي سادت فيه تلك المبادىء أحاسيس الجماعات التي آمنت بها . ومجمل القول في هذا الشأن هو أن تأسيس الدين على العاطفة التي هي مبدأ مضاد لكل [illegible] مع المعرفة العقلية من شأنه أن يفصم كل عرى الصلات بينه وبين العلم ، إذ أن كلا منهما يتحدث بلغة لا يفهمها الآخر ، ويسير في اتجاه مغاير لاتجاه صاحبه . وإذن فالعلاقة هنا هي التضاد بأكمل معانيه . ولا ريب أن هذا المنهج في إدراك الدين والعلم على هذا النحو لم يلبث أن أغرى عدداً عظيماً من المفكرين لأنه أزال من أمامهم عقبة كأداء كانت تعترض طريق تفكيرهم [illegible] أحد التعاليم المسيحية التي ليس لها من العقل مستند [illegible] فأصبحوا بعد هذا الادراك الجديد يدعمون كلا من العلم والدين في طريقه الخاص ، فيسير الأول متئدا مقيدا بالمناهج العقلية ، مستمسكا بالحجج والبراهين ، بينما يتدفق الثاني من العواطف المحضة التي لا تسأل عن لم ولا عن كيف ، وبهذا قد زال خطر الاصطدام بينهما ما دام القائمون عليهما يؤمنون بهذه المبادىء التي تنزل العلم أرفع منزلة من الرأس ، وتحل الدين في أعز مكان من القلب . ولا جرم أن هذا الجدل كله قد دار بين العلم والمسيحية لا بين العلم والدين من حيث هو ،

حول بعض آى الكتاب الحكيم والأدب النبوى

بقلم الأستاذ الشيخ محمود النواوى
مدرس بمعهد القاهرة

« وما أوتيتم من العلم إلا قليلا » . قرآن كريم

« اللهم انفعنى بما علمتنى ، وعلمنى ما ينفعنى ، وزدنى علما » . حديث شريف

[illegible] والنبأ العظيم ، حاجة البشر كلها ، فما غادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها « ما فرطنا فى الكتاب من شىء » « وكل شىء فصلناه تفصيلا » حتى كان عبد الله بن مسعود رضى الله عنه يقول : لو ضاع لى عقال بعير لوجدته فى كتاب الله . وليس معنى ذلك أن الكتاب الكريم يقول لك إن عقال بعيرك فى مكان كذا ، ولكنه يصدق عن إيمان الصحابة الأولين من هذه الأمة بمكانة القرآن فى الإرشاد والهدى ، وهو لا يدان الصدق [illegible] ، وأنه مصدر لتصريف الإنسان فى حياته ، يدله كيف [illegible] حتى فى التافه من أمره ، وما لا وزن له من شيئه : « أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها » .

[illegible] محمد صلى الله عليه وسلم وأخذ الكتاب [illegible] ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله [illegible] « إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد » .

من ذا الذى [illegible] الكتاب حق تلاوته ثم لا يطامن نفسه من خشية الله ، ويخضع لعظمته وكبريائه ، وهو سبحانه بكل شىء عليم ؟ « الرحمن علم القرآن . خلق الإنسان علمه البيان » . « اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق

الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذى علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم » . « والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا ، وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون . ألم يروا الى الطير مسخرات فى جو السماء ما يمسكهن إلا الله . إن فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون »

سبحانك اللهم وبحمدك ! لقد جهل الناس جميعا ما لم تعلمهم ، ولقد ضلوا ما لم تهدهم ، إيمانا بعظمتك ، وعرفانا لحق ربوبيتك . « وما أوتيتم من العلم إلا قليلا » :

ويل لابن آدم ! فوالذى نفسى بيده لولا ما منحه الله سبحانه من كرامته ، وسخر له من كائنات خلقه ، إذاً لفضله كل ما فى هذا الكون من حيوان ونبات وجماد ! لقد عرض الله سبحانه الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا ! ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس ، لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم أعين لا يبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها ، أولئك كالأنعام بل هم أضل ، أولئك هم الغافلون ، وهل يقول الله سبحانه : « لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله » ويقول رسوله صلى الله عليه وسلم « لو تعلم البهائم ما تعلمون من عذاب الله ما أكلتم منها سمينا » ألا فاعلم أيها الانسان أن ميزتك فى هذا الوجود إنما هى الانتفاع بالعقل ، والانتفاع بالاعتبار والفكر ، فاذا لم تكن ذلك الممتاز فكل ما فى الوجود خير منك

هذا الكتاب الكريم يوجه النفس الانسانية وجهتين عليهما قوام الحياة وسعادة الأسرة الآدمية : يوجهها وجهة الحق والمعرفة الصحيحة ، ويوجهها وجهة السمو الخلقى ، والأدب القويم .

والوجهة الأولى هى الأساس الذى إذا سلم صح بنيان الحياة وتم نظامها ، وإذا لم يسلم أوشك أن يتداعى بنيانها وتتقوض حيطانها . وبقدر ما يكون الجهل يكون الفساد والاضطراب ، حتى إذا تجاوز الجهل حده ، وعدا طوره ، فصل الله سبحانه فصله بمحو الانسان ، وجاء وعده بإبادة هذا الوجود .

مكتبتنا العربية

وإن من أشراط الساعة أن يرفع العلم ويفشو الجهل . وإذا كان ذلك لم يكن لبقاء هذا الكون حكمة ، ولا فى بقائه مغنم للانسانية ، لأن الله سبحانه جعل الانسان خليفة عنه . وإذا جهل خليفة الله لم يكن لخلافته معنى . ذلك هو ما يدل عليه الكتاب إذ يقول : « حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس » . وفى الحق إذا ظن أهلها ذلك لقد جهلوا جهلا لا يصح معه علم فلا يستقيم عليه أمر .

ومن مظاهر هذه الدعوة الكريمة (وجهة العلم الصحيح) ما نجده منبثا فى تضاعيف هذه السور ، وما أكثره من مثل :

« يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق ، إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه » . ولولا أن يشتط بى القلم لأسهبت القول فى ناحية هذه الجهالة وما يدل عليه اعتقادها من ضلال وما جرته من عداء عند المسلمين . ولعمرى لقد هلك المتحرف فى معرفته لأن كل جهالة تعوج عقيدة المتحرف فى عقيدته . فالكتاب الكريم يدعو الى الاتزان فى العقل ووضع الأمور فى نصابها ومواضعها بلا غلو ولا إسفاف . ولذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم لعلى : « يا على أنت كعيسى ابن مريم ، هلك فيك رجلان : محب غال ، ومبغض قال » . ويقول الله سبحانه : « كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين » ، « ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا » . وجاء رجل فى شهادة بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له : هل رأيت الشمس ؟ قال : نعم ، قال : على مثلها فاشهد وإلا فدع .

وحدثنى أنت هل تستطيع أن تتصور كيف جمع الله سبحانه الكتاب مع الميزان فى قوله « لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط » إلا لما بين الكتاب والميزان من رحم ماسة وصلة واثقة ، هى ما بينه سبحانه بصريح البيان فى قوله : ليقوم الناس بالقسط ؟ وحسبك بها من صلة لا تهن ، ورابطة لا تنفصم عراها ، فكل من الكتاب

مكتبتنا العربية

والميزان قوام لكل مائل ، قصد لكل جائر ، مرجع فى تحديد الحقائق المعنوية والحسية معا .

ولقد غرس هذا التوجيه الكريم فى النفس السمحة العظيمة نفس محمد بن عبد الله أن الحق والحكمة أساس الحياة الصحيحة ، ومعيار النظام الذى يسير بقافلة الوجود الى حيث السعادة فى أروع صورها ، وفى [illegible] مظاهرها ، فنسيت فى سبيل ذلك ما فطر عليه الناس من ميل مع [illegible] و [illegible] صوره وأحد مظاهره ، تزكية للنفس من كل ما [illegible] هذا الوجود من دنس وإسفاف . « يا أسامة أتشفع فى حد من حدود [illegible] والذى [illegible] محمد بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد [illegible] محمد [illegible] لا أغنى عنك من الله شيئا . يا فاطمة يا بنت محمد [illegible] لا أغنى عنك من الله شيئا » . وجاء رجل اليه يسأله أن يكون شريكه فى [illegible] الوجود » . ذلك بصيص من وجهة الحق والحكمة فى الإسلام .

وأما وجهة الأدب النفسى ، والسمو [illegible] فى كل ما يكبح من جماح النفس ونزوة الطيش [illegible] الفجور ، يتجلى فى مثل قوله « وما أوتيتم من العلم إلا قليلا [illegible] الإنسان ضعيفا » . « فلولا إن كنتم غير مدينين [illegible] » « أفرأيتم ما تمنون . أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون [illegible] » لتقف النفس على نقصها فتعرف قدرها ، [illegible]

وإن هذه الناحية لتتجلى [illegible] فيه بين مختلف الطبقات ملوكهم وسوقتهم [illegible] حتى قال عمر لسعد بن أبى وقاص [illegible] سعد لا [illegible] رسول الله أو صاحب رسول الله ، فان الله لا يمحو [illegible] بالحسن ، والناس فى دين الله سواء يتفاضلون [illegible] الله يا عمر ! ما كنت إلا صدى يردد روح الإسلام الذى [illegible] وخالط منه الشغاف ! « يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير »

مكتبتنا العربية

وبعد، فلعلك أيها القارىء الكريم تستطيع أن تجد في ذلك القبس الكريم ضياء وهدى. ولعلك تستطيع أن تدرس تينك الناحيتين الخطيرتين (وجهة الحق والحكمة، ووجهة الأدب والخلق)، فيما صدرت لك به مقالى من تلك الحكمة العالية، والأدب السامى: «وما أوتيتم من العلم إلا قليلا»؛ فأما من الناحية الأولى فالمنطق الصائب والقول الفصل، فالله سبحانه آتى عباده ما شاء من علم ومعرفة، وقسم فيه الحظوظ كما قسمها في الأرزاق، وقد قرنهم في [illegible] «وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم. أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا».

وتعترف الملائكة [illegible] يحكى عنهم بقوله «قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم».

ولقد [illegible] عالة على تعليم الله يمشو إلى ضوء ما نصب لله سبحانه [illegible] الأنفس وآيات في الآفاق، ومن وحى على ألسنة من اصطفى من [illegible] في ضلاله ورشاده. وهو سبحانه خالق آلات العلم [illegible] التى هى طرق الإدراك، والعقل الذى يرتب [illegible] الذى هو موضع العبر، والمراح والمغدى لكل [illegible] ناطق بأنه سبحانه مفيض العلم والهداية «قل فلله [illegible] هداكم أجمعين» «ويعلمكم الله والله بكل شىء عليم» [illegible] الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم إلا قليلا [illegible] بالذى أوحينا إليك ثم لا تجد لك به علينا [illegible] كان عليك كبيرا. قل لئن اجتمعت الإنس والجن على [illegible] لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا».
فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى غلا فيه كثير من الجاهلين فنسبوا إليه من العلم ما لم [illegible]، انظر كيف يخاطبه الله سبحانه ويضعه فى حاقه وينزله فى منزله «لقد أنزل الله عليه الكتاب والحكمة وعلمه مالم يكن يعلم».
لقد وجده ضالا فهدى. لقد وجهه أن يضرع إليه، ليفيض عليه «فتعالى الله

مكتبتنا العربية

الملك الحق ، ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه ، وقل رب زدنى علما » . ولما سأله الكفار أن يأتى بغير القرآن مما يتفق مع عقائدهم الزائفة وأهوائهم الفاسدة قال الله سبحانه له « قل ما يكون لى أن أبدله من تلقاء نفسى إن أتبع إلا ما يوحى إلى » ووصفه الله سبحانه بأنه لا يدرى صيرورة أمره ولا الخاتمة من شأنه « قل ما كنت بدعا من الرسل وما أدرى ما يفعل بى ولا بكم ، إن أتبع إلا ما يوحى إلى وما أنا إلا نذير مبين » . وفى الصحيح أن امرأة من الأنصار قالت لما كفن عثمان بن مظعون : رحمة الله عليك أبا السائب ! فشهادتى عليك لقد أكرمك الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « أما هو فقد جاءه اليقين ، والله إنى لأرجو له الخير ، والله ما أدرى وأنا رسول الله ما سيفعل الله بى » . وفى الصحيح من حديث الخضر وموسى قال الخضر لموسى : إنك لن تستطيع معى صبرا ، إنى على علم من علم الله علمنيه لا تستطيعه أنت ، وأنت على علم علمكه الله ... الحديث . وإذا كان الله سبحانه هو الذى علم الانسان فلقد شاءت حكمته أنه لم يعطه من العلم إلا قليلا فى جنب الحقائق الثابتة والمعارف غير المتناهية « قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا » « ولو أن ما فى الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله » ؟

—

الدنيـــــا

قال النبى صلى الله عليه وسلم : « الدنيا عرض حاضر ، يأكل منه البر والفاجر ، والآخرة وعد صدق يحكم فيها ملك قادر ، يفصل الحق من الباطل » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « الدنيا خضرة حلوة ، فمن أخذها بحقها بورك له فيها ، ومن أخذها بغير حقها كان كالآكل الذى لا يشبع » .

الى أى حد جدد المحدثون فى البديع ؟

لحضرة الأستاذ الشيخ أحمد ابراهيم موسى
المدرس بكلية اللغة العربية

تناولنا فى بحث سابق أن الهدف الأسمى للشعر عند القدماء كلام يرسله الشاعر من فيض السليقة ، وقول ينفثه عن إلهام الفطرة ، ومعان تمليها عليه حياته وما فيها من معالم ومشاهد ، وصور ورسوم ، أبرز مميزاتها الجلاء والوضوح ، وأجلى خصائصها السهولة والنصوع ، دون أن تستشف من ورائها مجهودا شاقا أو غوصا عميقا ، فى أساليب رصينة قوية تغمرها الفحولة ، وتكسوها الجزالة . ذلك الذى حرص عليه الأقدمون وعلقوا به هممهم وبلغوا فى ذلك غاية ليس وراءها غاية .

وفى هذه الكلمة نبين أن الهدف الأسمى للشعر عند المحدثين قد كان شيئا آخر غير ما حرص عليه المتقدمون ، فقد حرصوا على أن يقرضوا شعرا يصور روعة الحياة ومفاتنها ، ويبرز كوامن جلالها وجمالها ، وفهموا الجمال الشعرى والروعة البيانية على نحو يغاير منحى المتقدمين . فالجمال فى نظر الشاعر القديم : هو السلامة فى الفطرة ، والصدق فى التعبير ، والقـوة فى الإبانة ، والوضوح فى التصوير ، وإرسال بوارع الكلم حسبما يوحى به الطبع الجياش ، وتلهم الفطرة الصافية . أما المحدثون — وقد احتذوا حذو الأقدمين فى نوع الشعر وغرضه كما أسلفنا — فقد وجدوا مجال التجديد ضيقا عليهم ، وأبواب الابتكار موصدة فى وجوههم ، وأينما ولوا وجوههم نحو هذه الغاية وجدوا القدماء قد عبّدوا طرقها ، وأوضحوا معالمها واستولوا على أمدها ؛ فقد استأثر القدماء بالعبارات الجزلة والأساليب القوية ، وأتوا على كل معانى المدح والهجاء وما إليها من أغراض الشعر ، فاستقر فى نفوس جمهورهم أن المعانى قد نفدت ، وأنه لا سبق فيها ولا تبريز لواحد منهم ، وأن أهم شىء ينبغى أن تتسامى اليه نفوسهم وتنعقد عليه آمالهم فى التجديد حتى يبين سبقهم ويتجلى تفوقهم إنما

هـو الصياغة ، فليس همّ المحدثين أن يقولوا أى قول ، بل همهم أن يبرزوا أقوالهم خلابة جـذابة ، محلاة بأبهى حلل البيان ، موشاة بأروع سمات الـكلام ، وذلك لا يتأتى إلا بالتـوفر على العبارة بالزخرف ، والصياغة بالتنميق ، والمعنى بالتوليد والمبالغة فيه الى حد قد يخرجه عن حدود المعروف ويبعده عن آفاق المعقول ، وبافتراض المثل الخيالية التى نبت عنها عقـول الأقدمين وتجافت عنها نفوسهم لإيلافها الصدق فى القول ورغبتها فى تصوير الواقع الملموس على ما هو عليه من صور القوة أو الضعف . و[illegible] العجب أنهم لم يستمدوا نواة تجديدهم من مقومات حياتهم و[illegible] عليهم صورها ومشاهداتها ، بل هرعوا الى الأدب القديم يستمدون [illegible] عكفوا عليه منقبين فى نصوصه لعله يواتيهم بما يكون رأسه حلالا ، وجميلا [illegible] و[illegible] الأدب العربى كريم كالعرب ينجد اذا استنجد ، ويغيث اذا استغيث و[illegible] أنهم وقعوا على أشياء ما زالوا يروضـون أنفسهم عليها [illegible] ويحتفون بها ، ويوشحون بها شعرهم ، ويكثرون منها حتى [illegible] صبغة التجديد[illegible] تلك هى ما سردناها عليك فى كلمات سابقة من طباق وجناس [illegible] كما طرقه الجاهليون والاسلاميون عفوا من غير تعمل و[illegible] أن يعرفوا له اسما سوى أنه لون من ألوان البيان . [illegible] عليه وحملوا به قريضهم ، وأطلقوا عليه اسم « البديع » [illegible]

وكلما تقدم الزمن بالمحدثين وجاءت [illegible] فى هذه الأصباغ ، وتفننت فى هذا البديع ، وأحدثت [illegible] أنواعا ، أو ولدت فيه توليدات صارت به الى التعقيد [illegible] وصنعة تملؤها الـكلفة ، وتستشف منها المشقة ، و[illegible] تغيير ، لا خدمة للمعنى ولا معاونة له فى [illegible] ليحدث اللفظ طربا فى السمع ، وليتأتى به للشاعر [illegible] هذا [illegible] مطمئنين بأن التكلف كان أول ظاهرة فى شعر المحدثين [illegible] قال ابن رشيق (١) : « إنما مثل القدماء والمحدثين كمثل رجلين ابتدأ هذا بناء [illegible] وأتقنه ، ثم أتى الآخر فنقشه وزينه ، فالـكلفة ظاهرة على هذا وإن حسن ، والقدرة ظاهرة على هذا وإن خشن » . وقال الجرجانى (٢) « فلما أفضى الشعر الى المحدثين ،

(١) العمدة ١/٧٤ (٢) الوساطة / ٣٨

مكتبتنا العربية

ورأوا مواقع تلك الأبيات من الغرابة والحسن، وتميزها عن أخواتها في الرشاقة واللطف، تكلفوا الاحتذاء عليها فسموه «البديع» فمن محسن ومسيء ومحمود ومذموم، ومقتصد ومفرط».

برز الشعر إذن في ثوب جديد يغاير ما لبسه في القديم، وأصبح بعد حين من الزمان صنعة بالمعنى الصحيح، يهيم الشاعر فيه وراء الأصباغ البديعية التي اتسمت بسمات الحضارة والترف، واتشحت بوشاح العقل المفكر والعلم الغزير والمزاج الرقيق، والبيئة الاجتماعية المنظمة، وفاضت بالمذاهب الدينية والفلسفية التي تنزع إلى العمق وتميل إلى التنسيق، فابتعدت عن أصولها في القديم، وباينت ما جرى منها على ألسن الأقدمين، وما ذلك إلا لأن الأقدمين لم يكونوا أصحاب ثقافة أو صنعة أو فن، بل كان الطبع فيهم جياشا قويا، وكانت عباراتهم ترجمانا مبينا عن خواطرهم وما يجول بأنفسهم، فلا يحذفون ولا يبدلون إلا إذا كان المعنى هو الذي يستدعي هذا الحذف ويحتم هذا التبديل، ولا يغيرون شيئا بآخر إلا إذا كانت المعاني تكتسب قوة وروعة بذلك التغيير، فالمعاني هي التي تستولي عليهم، وهي التي تقودهم، وهي التي تحركهم.

أما ما قيل عن طفيل الغنوي، وزهير بن أبي سلمى، والنابغة الذبياني، والحطيئة، وعدي بن الرقاع، ومن أشبههم ولف لفهم من أنهم كانوا أصحاب صنعة وروية في الشعر، وأنهم كانوا عبيدا له، وأنهم اعتنقوه فأشقاهم وأجهدهم في صنعته، فليس معناه التكلف أو الصنعة التي سنعرفها عند المحدثين؛ بل كانوا حريصين على ألا يخرجوا شعرهم للرأي العام إلا بعد تهذيبها، ولم يكن التهذيب في نظرهم إلا طرح ما لا يحتاج إليه المعنى، أو إبعاد معنى لا يأخذ بمجامع القلوب، أو يستهجن عند رؤيتها، أو لفظ بغيره أتم منه وأنسب، وما جاءهم من صنعة بديعية فهو آت من غير عمد أو سبق إصرار، ومن غير أن يكون للشاعر محيص عنه. وقد اطرد هذا الحكم للأقدمين في ألوان كلامهم جميعه. قال عبد القاهر الجرجاني (١) بعد أن ساق أمثلة للسجع المقبول المستحسن من كلام القدماء: «فأنت لا تجد في جميع ما ذكرت لفظا

(١) أسرار البلاغة ٩

مكتبتنا العربية

اجتلب من أجل السجع ، وترك له ما هو أحق بالمعنى منه وأبر به ، وأهدى الى مذهبه ، ولذلك أنكر الأعرابى حين شكا الى عامل الماء بقوله « حلأت ركابى ، وشققت ثيابى ، وضربت صحابى » ، فقال له العامل « وتسجع (١) » ! إنكار العامل السجع حتى قال : فكيف أقول ؟ وذلك أنه لم يعلم أصلح لما أراد من هذه الألفاظ ، ولم يره بالسجع مخلا بمعنى أو محدثا فى الكلام استكراها أو خارجا الى تكلف واستعمال لما ليس معتاد فى غرضه . وقال الجاحظ : لأنه لو قال حلأت إبلى ، أو جمالى ، أو نوقى ، أو بعرانى ، أو صرمتى ، لكان لم يعبر عن خفى معناه ، وإنما حلئت ركابه ، فكيف يدع الركاب الى غير الركاب ؟ وكذلك قوله : وشققت ثيابى وضربت صحابى »

أما المتكلفون من المحدثين فقد عمدوا الى هذه الأصباغ عمدا ، ولم يرسلوا المعانى على سجيتها ويدعوها تطلب الألفاظ لأنفسها [illegible] وصوروا فى أنفسهم أنه لا بد من تجنيس أو تطبيق أو ما اليهما لمعنيين أو معنيين مخصوصين ، فوقع كثير منهم فى الخطأ الفاحش ، وطلقوا [illegible] العيب والقدح عليهم من عقلها ، وذهب رواء شعرهم وبهاء [illegible] صحة هذه الأصباغ التى آثروها بالاختيار والتقديم ؟

العلم والعلماء

قال أمير المؤمنين عبد الله بن المعتز [illegible] العلم جمال لا يخفى ، ونسب لا يجفى ، [illegible] ويغرق معها خلق كثير غيره . إذا زل العالم ، زل بزلته عالم [illegible] ذل العلم ساعة بقى فى ذل الجهل أبدا . حاسد العلم [illegible] جاهله . العلم يمنع أهله أن يمنعوه أهله .

وقال أيضا : المتواضع فى طلاب العلم أكثرهم علما ، كما أن المكان المنخفض أكثر البقاع ماء . إذا علمت فلا تذكر من دونك من الجهال ، واذكر من فوقك من العلماء .

(١) هكذا فى المصدر السابق . ورواية البيان والتبيين جـ ١ ـ ١٩٢ : أو سجع أيضا .

مكتبتنا العربية

الخطابة فى الاندلس

البلوطى خطيب الأندلس

لفضيلة الأستاذ الشيخ احمد الشرباصى
المدرس بالأزهر

هو أبو الحكم منذر بن سعيد البلوطى الأندلسى ، ينسب الى ناحية تسمى « البلوط » أو « فحص البلوط » . قال ياقوت فى معجم البلدان (١) : « البلوط ناحية بالأندلس ، ينسب إليها المنذر بن سعيد البلوطى القاضى بالأندلس ، وكان أحد الأعيان الأفاضل فى بلاده زهدا وعلما ، وأدبا ولسانا ، ومكانة من السلطان » . [illegible] الشجر . وجاء فى إعجام الأعلام : « الفحص فى اصطلاح الأندلسيين كل موضع يسكن سهلا كان أو جبلا ، [illegible] عدة مواضع فى بلادهم ، فمنها فحص طليطلة ، وفحص [illegible] ، وفحص البلوط ، وفحص الأجم ، وفحص [illegible] ومثل هذا أيضا ورد فى القاموس المحيط .

وقد قال ياقوت فى معجم الأدباء (٢) عن البلوطى : « كان نحويا فاضلا [illegible] ولد سنة خمس وستين ومائتين ، ورحل فلقى جماعة من العلماء [illegible] فى رحلته كتاب الأشراف فى اختلاف العلماء [illegible] النيسابورى ، وكتاب العين للخليل رواية أبى العباس ولاد [illegible] عبد الرحمن الناصر فحظى عنده ؛ ولما توفى الناصر وولى ابنه الحكم [illegible] على القضاء ، واستعفى غير مرة فما أعفاه ، وكان وقورا صليبا فى الحكم ، مقدما على إقامة العدل والحق ، وإزهاق الجور والباطل ، آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر ، له كتب فى السنة والورع ، والرد

(١) ج ٢ ص ٢٨١ . (٢) ج ١٩ ص ١٧٤ .

على أهل الأهواء والبدع ، ومن مصنفاته المتداولة : أحكام القرآن ، وكتاب الناسخ والمنسوخ ، وله رسائل وخطب مجموعة وأشعار متفرقة مطبوعة ... » . وفي آخر الترجمة يقول ياقوت : « توفي منذر بن سعيد سنة خمس وخمسين وثلاثمائة » .

ويقول عنه الفتح بن خاقان في مطمح الأنفس (١) : « آية حركة في سكون ، وبركة لم تكن معدة ولا نكون ، وآية سماحة في تحسير ، وجهامة ورع في طي تبسم ، إذا جد تجرد ، وإذا هزل نزل ، وفي كلتا الحالتين لم ينزل للورع عن مرقب ، ولا اكتسب إثما ولا احتقب ... وناهيك من عدل أظهر ومن فضل اشتهر ، ومن جور قبض ، ومن حق رفع ، ومن باطل خفض ، وكان مهيبا مطيبا صارما غير جبان ولا عاجز ولا مراقب لأحد من خلق الله في استخراج حق ودفع ظلم ... ولد سنة ثلاث وعشرين ومائتين عند ولاية المنذر بن محمد ، وتوفي يوم الخميس لليلتين بقيتا من ذي القعدة سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة » .

هذه السطور القلائل هي كل ما بين أيدينا من النصوص التاريخية التي بأيدينا عن تاريخ البلوطي ، وأول شيء نلاحظه على النصين السابقين أن كلا من ياقوت والفتح بن خاقان يختلفان اختلافا كبيرا في تعيين السنة التي ولد فيها البلوطي ، والسنة التي مات فيها ، وفي تعيين عمره لذلك ، فياقوت يقول : « ولد سنة خمس وستين ومائتين » والفتح يقول « ولد سنة ثلاث وعشرين ومائتين » ، وفي تعيين وفاته يقول ياقوت : « توفي سنة خمس وخمسين وثلاثمائة » والفتح يقول : « سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة » ، فعمره على رواية ياقوت هو تسعون عاما ، وعلى رأي الفتح مائة واثنا عشر عاما .

ولم يقف الاختلاف في مولد البلوطي ووفاته عند هذا الحد ، بل جاء السيوطي في بغية الوعاة (٢) فحدد مماته باليوم والشهر والسنة ، فقال : « ومات

(١) ص ٢١٠ . (٢) ص ٣٩٨

مكتبتنا العربية

يوم الخميس لأربع خلون من ربيع الأول سنة ٣٤٩ وبلغ من السن سبعا وأربعين سنة ، فيكون مولد البلوطي على رأي السيوطي في سنة ٣٠٢ . ووجد الشيخ عرفة في كتابه تاريخ القضاء في الإسلام فقال : «كان المنذر ابن سعيد البلوطي سنة ٣٣٣ ... في سنة ٣٥٠ قاضي قرطبة ، فيكون عمره على هذا ...

والذي رجحه ... ياقوت في معجم الأدباء وصاحب المغرب من أنه ولد سنة ٢٦٥ ... سنة ٣٥٥ هـ ، وذلك لأن صاحب المطمح يذكر أن البلوطي ... في القضاء إلى أن مات الناصر لدين الله ثم ولى ابنه الحكم ... وفي خلافته توفي ... والناصر قد ملك من سنة ٣٠٠ إلى سنة ٣٥٠ كما تقول مصادر الأندلسية[2] ، وتولى بعده ابنه الحكم ، ولا بد من أن يكون البلوطي قد شهد جانبا من خلافة الحكم كما يقول ابن خاقان ، وهو على هذا الرأي الذي رجحه قد شهد منها خمس سنوات ، وبقية الروايات ... تقتضي أن موت البلوطي كان قبل خلافة الحكم .

كذلك لا بد من أن البلوطي حين وقف بين يدي الناصر خاطبا خطبته المشهورة ... كان في سن الشيوخ حتى يجرؤ على هذا الموقف ... خطبة ... وللإمامة في المسجد الجامع بالزهراء ؛ وزيارة رسول ... ملك الروم للناصر في هذا الموقف كانت بعد سنوات من تولي الناصر الخلافة ، فإذا رجحنا أن البلوطي ولد سنة ٢٦٥ هـ تكون سنه يومئذ ... سنة أو ما يقاربها ، وهي سن مقبولة في مثل هذا المقام .

على أننا نعود بعد ذلك فنقول إن هذا العيب ، وهو الاختلاف البين في تحديد التواريخ ... وفياتهم ... وما توا فيها ... منتشر ، وظاهرة شائعة في كتبنا ، ومصادر ... بوجه خاص ، ولذلك أسباب كثيرة ليس هذا مجال الإفاضة في توضيحها والتعميق عليها .

* * *

(١) ص ٢٠٤ (٢) مثل نفح الطيب ج ١ ص ١٦٦

مكتبتنا العربية

استطاع منذر بن سعيد بما وهب له الله من طباع الأديب ، وبما بذله في سبيل العلم والمعرفة ، وبما رحل إليه من مشاهد ، وبمن لقي من العلماء والأدباء ، وبما قرأ من الكتب والأسفار ، أن يكون لنفسه ثقافة عالية ، وأن يرقى في درجات المجد الأدبي سريعا ، حتى نال إعجاب الملوك والخلفاء والأمراء ، وحتى استطاع بخطبة واحدة يخطبها في حضرة أحد الخلفاء أن يسجل اسمه بين عظماء الأدب العربي ، وأن [illegible] المؤرخون [illegible] على [illegible] زعيم الخطابة في الأندلس ، ويذكرون أن خطبته تعد [illegible] من مواقف الخطابة في هذه البلاد ، لأنها كانت كالشعاع الذي يدل على [illegible] وكالرداد المبشر بانهمار الغيث الصيب بعد قليل

ولهذه الخطبة قصة يشير إليها [illegible] الأندلس بلغت في عهد عبد الرحمن الناصر [illegible] عاصمتها و قرطبة ، بفضله [illegible] عاصمة المشرق ، فقصده رسل الملوك [illegible] خاطبين وده وصداقته ، و[illegible] وصاحب القسطنطينية ، [illegible] إليه [illegible] وقد استقبلهم عبد الرحمن [illegible] بجلال ملكه وعظمة سلطانه ، فورش [illegible] الستور ، ثم أراد أن يسمع الوفد [illegible] وما أتاه الله به على [illegible] من العزة و[illegible] وطلب منه أن [illegible] والتنويه بإصلاحاته في عهده الزاهر ، و[illegible] وعهد الحكم بتلك المهمة إلى أبي علي البغدادي [illegible] الأمالي والنوادر ، وهو حينئذ ضيف الخليفة [illegible] السكلام وبحر اللغة — كما يعبر المقري في نفح الطيب [illegible] فلما التأم الجمع قام أبو علي وحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم أرتج عليه ، وانقطع وبهر — كما يقول ياقوت — وما وصل إلا قطع ، ووقف

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

ساكتا متفكرا ، لا ناسيا ولا متذكرا — كما يقول الفتح بن خاقان — فلما رأى ذلك منذر بن سعيد البلوطى ، وكان ممن حضر فى زمرة الفقهاء ، قام من ذاته ، ووصل افتتاح أبى على بكلام يبهر العقول واسترعى الأسماع ، ألقاه سحا كأنما كان يحفظه قبل ذلك بمدة ، وبدأ من المكان الذى انتهى إليه أبو على القالى البغدادى فقال (١) :

« أما بعد حمد الله والثناء عليه ، والتعداد لآلائه ، والشكر لنعمائه ، والصلاة والسلام على محمد صفيه وخاتم أنبيائه ، فإن لكل حادثة مقالا ، ولكل مقام مقالا ، وليس بعد الحق إلا الضلال ، وإنى قد قمت فى مقام كريم ، وبين يدى ملك عظيم ، فأصغوا إلى [illegible] أسماعكم ، وافقهوا عنى بأفئدتكم . إن من الحق أن يقال للمحق صدقت وللمبطل كذبت ، وإن الجليل تعالى فى سمائه ، وتقدس [illegible] صلى الله على نبينا وعليه وعلى جميع أنبيائه [illegible] عنهم ، ونبيه وفى رسول الله صلى الله [illegible] أيام الله عندكم ، وتلافيه لكم [illegible] ورفعت خوفكم ؛ [illegible] وستنجلى فنصركم ؛ ولاه الله [illegible] أفئدة [illegible] على الآفاق ، وأحاطت [illegible] من ضيق الحال ونكد [illegible] بالرجاء ، وتقلبتم بيمن سياسته [illegible]

[illegible] مسفوكة حقها ، والسبل [illegible] وحصنها ؟ ألم تكن البلاد خرابا

---

(١) [illegible] الذى أمر بالكلام أولا هو الفقيه محمد بن عبد البر الأندلسى صنيعة الحكم ؛ فهاله الموقف وبهره ، فلم يهتد إلى لفظة ، [illegible] غشى عليه ، فقيل للقالى : قم فارقع هذا الوهى . فقام فحمد الله وصلى على الرسول والآل ثم انقطع ، فقام البلوطى وقال ما قال !

مكتبتنا العربية

فعمرها ، وثغور المسلمين مبتضمة لحماها ونصرها ؟ فاذكروا آلاء الله عليكم بخلافته ، وتلافيه جمع كلمتكم بعد افتراقها بإمامته ، حتى أذهب الله عنكم غيظكم وشفى صدوركم ، وصرتم يداً على عدوكم ، بعد أن كان بأسكم بينكم ، فأنشدكم الله ! ألم تكن خلافته قفل الفتنة بعد انطلاقها من عقلها ؟ ألم يتلاف صلاح الأمور بنفسه بعد اضطراب أحوالها ، ولم يتكل في ذلك على القواد والأجناد ، حتى باشره بالقوة والمهجة والأولاد ؟

« واعتزل النسوان وهجر الأوطان ، ورفض اللذة وهي محبوبة ، وترك الركون الى الراحة وهي مطلوبة ، بطوية صحيحة ، وعزيمة صريحة ، وبصيرة نافذة ثاقبة ، وريح هابة غالبة ، ونصرة من الله واقعة وحجة ، وسلطان قاهر وجد ظاهر ، وسيف منصور تحت عدل مشهور ، متحملا للتعب ، مستقلا لما ناله في جنب الله من النصب ، حتى لانت الأحوال بعد شدتها ، وانكسرت شوكة الفتنة بعد حدتها ، فلم يبق لها غارب إلا جبه ، ولا نجم لأهلها قرن إلا جده ، فأصبحتم بنعمة الله إخوانا ، وبلم أمير المؤمنين شعثكم على أعدائه أعوانا ، حتى تواترت لكم الفتوحات ، وفتح الله عليكم بخلافته أبواب الخيرات والبركات ، وصارت وفود الروم وافدة عليه وعليكم ، وآمال الأقصين والأدنين متوجهة إليه وإليكم ، يأتون من كل فج عميق وبلد سحيق ، للأخذ بحبل بينكم وبينه جملة وتفصيلا ، ليقضي الله أمرا كان مفعولا ، ولن يخلف الله وعده ، ولهذا الأمر ما بعده ، وتلك أسباب ظاهرة بادية ، تدل على أمور منتظرة حادثة ، دليلها قائم ، وجفنها غير نائم : « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم » وليس في وعد الله ارتياب ، ولكل نبأ مستقر ولكل أجل كتاب ، فاحمدوا الله أيها الناس على آلائه ، واسألوا المزيد من نعمائه ، فقد أصبحتم بين خلافة أمير المؤمنين ـ أيده الله بالسداد ، وألهمه التوفيق الى سبيل الرشاد ـ أحسن الناس حالا ، وأنعمهم بالا ، وأعزهم قرارا ، وأمنعهم دارا ، وأكثفهم جمعا ، وأجلهم صنعا ، لا تهاجون ولا تذادون ، وأنتم بحمد الله على أعدائكم ظاهرون ، فاستعينوا على صلاح أحوالكم بالمناصحة لإمامكم ، والتزام الطاعة لخليفتكم وابن عم نبيكم صلى الله عليه وسلم

فان من نزع يداً من الطاعة وسعى فى تفريق الجماعة ، ومرق من الدين فقد خسر الدنيا والآخرة ، ذلك هو الخسران المبين ، وقد علمتم أن فى التعلق بعصمتها والتمسك بعروتها حفظ الأموال وحقن الدماء ، وصلاح الخاصة والدهماء ، وأن بقيام الطاعة تقام الحدود ، ويوفى بالعهود ، وبها وصلت الأرحام ، ووضحت الأحكام ، وبها سد الله الخلل من السبل ، ووطأ الأكناف ورفع الاختلاف ، وبها طاب [illegible] وبها أمن سكن الدور ، فاعتصموا بما أمركم الله بالاعتصام به [illegible] فانه [illegible] أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم [illegible] حاطكم الله و حرز لكم هذه من ضروب المشركين [illegible] شق عصاكم وتفرق منكم ، الآخذين فى [illegible] وهى دعوة نبيكم صلوات الله وسلامه عليه [illegible] بتقوى هذا ، وأستغفر بالحمد لله رب [illegible] فهو خير الغافرين » .

• [illegible] رسول قسطنطين على قلبه وقال : [illegible] عن حسن مقام منذر بن سعيد وثبات جنانه و [illegible] وكان الناصر أشدهم تعجبا منه ؛ وأقبل على ابنه الحكم [illegible] على ذلك [illegible] وقال له : هذا منذر بن سعيد البلوطى . فقال الناصر : و الله لقد [illegible] فلئن كان حبر خطبته هذه وأعدها مخافة أن يدور ما دار فيتلافى الوهى ، فانه لبديع من قدرته واحتياطه ، ولئن كان أتى بها على البديهة [illegible] فانه لأعجب وأغرب . ولئن أخرنى الله بعد لأرفعن من ذكره ، فضع يدك يا حكم عليه واستخلصه ، وذكرنى بشأنه ، فما للصنيعة مذهب عنه . ثم ولاه الصلاة والخطابة فى المسجد الجامع بالزهراء . ثم توفى بعد ذلك محمد بن عيسى قاضى قرطبة فاختار الناصر منذراً وولاه قضاء الجماعة بقرطبة ، وأقره على الصلاة بالزهراء . والخطبة كما يرى الأديب المنصف قوية الأسلوب والمعنى ، وقد قيلت فى ظرفها المناسب ، فأنقذت الموقف ، وأتت على أحسن ما يقال فيه عن تهيؤ وإعداد ؟

مكتبتنا العربية

تشابه النظم فى القرآن الكريم

لفضيلة الأستاذ عبد الغنى عوض الراجحى

القرآن كلام الله ، لا تنقضى عجائبه ، ولا ينتهى منه البحث والنظر ، كلما أمعنت فيه وجدت نفسك مستشعراً قول القائل :

يزيدك وجهه حسنا إذا ما زدته نظرا

يفضى بنا النظر فيه الآن الى هذه الظاهرة التى لا شك فى أنها كانت لونا من ألوان إعجازه بفصاحته وبلاغته وأساليبه العالية فى البيان والتصوير ، وفنونه الرفيعة فى الأداء والتعبير ، وتحليقه بهذه الأشياء فيه الى مدى يعيى فيه البصر أو ينقلب عنه خاسئا وهو حسير ، تشابه النظم فيه ، أو إعادة المعنى الأصلى الواحد بعبارات مختلفة ، تقديما وتأخيرا ، وذكرا وحذفا ، وفصلا ووصلا ، وإدغاما وفكا ، وإيجازا وإطنابا ، وإبدال كلمة بأخرى ، ووجها بآخر ونحو ذلك (١) .

ويمكن أن تكون هذه الظاهرة هى تشابه الكلام وتكريره لمعنى أصلى واحد مع نوع اختلاف فى العبارة يقضى به اختلاف المقام والسياق فى موضع عنه فى آخر ، مما أرشدت إليه الآية الكريمة « الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثانى » (٢) . فترديد الكلام حول معنى واحد فيتشابه فى المعنى ويتشابه فى اللفظ ويتشابه فى الفصاحة والبلاغة والإصابة للغرض فى كل ، هو سر من أسرار القرآن ، وضرب من ضروب القدرة الكلامية والعبقرية القولية ،

---

(١) مثاله كل قصة ذكرت فى أكثر من موضع . ومثاله أيضا فى غير القصص الآيات ٦٢ من سورة البقرة ، و ٦٩ من سورة المائدة ، و ١٧ من سورة الحج ، والآيتان ١٤ من سورة النحل ، و ١٢ من سورة فاطر ، والآيتان ١٥١ من سورة الأعراف ، و ٣١ من سورة الاسراء ، والآيتان ١٣٥ من سورة النساء ، و ٨ من سورة المائدة ، والآيتان ١٢٦ من سورة آل عمران ، و ١٠ من سورة الأنفال ، والآيتان ٤٨ و ١٢٣ من سورة البقرة ، الى ما الى ذلك مما قد يعز على الحصر . (٢) سورة الزمر الآية ٣٠

لا يعرف بهذه المثابة إلا لكتاب الله ، حيث تتبدل الأغراض ، وتفصل المعانى ، وتبلغ المقاصد التى سيق لها الكلام قمم الرفعة والسمو ، الأمر الذى لمثله يستطاب التكرار ، ويستملح الترديد فى العبارات ، ويتحايل بأفانين القول ووجوهه على جذب القلوب وامتلاك الأسماع واختلاب الأبصار والبصائر . وها نحن نرى فى عصورنا الحديثة هاته التى نضجت فيها علوم النفس والاجتماع كيف يعمد أصحاب الدعايات إلى التكرار فى دعاياتهم ونشراتهم مع التلوين فى عباراتها على غرار ما جاء فى كتاب الله قبل أن تخلق علوم النفس والاجتماع . فالتكرار على هذه الكيفية من أفضل سبل الإقناع ، وأقوى الوسائل لتركيز الرأى وتمهيده فى النفس البشرية فى رفق ولين وهوادة دون استثارتها المخالفة بالجدل والمشادة فى نظم البراهين ؛ الأمر الذى لمراعاته عرى القرآن الكريم عن الإفراط فى الجدل والقياسات المنطقية التى لا تقود النفس البشرية كما تقودها الموعظة الحسنة والتأثير بالوجدانيات ، مع التفنن فى عرضها ، والتنويع فى صوغها (١) .

ومتى كانت المعانى الأصلية المقصودة حاصلة فى جمل وعبارات فليس يضر بعد حصولها ما يرى فى هذه الجمل والعبارات من مفارقات واختلافات صناعية لا تضر بأصول المعانى وجواهرها ، ولا تؤدى إلى تدافع ، وما كانت إلا من أجل الوفاء بحق البلاغة والفصاحة التى يراد إبرازها فى موطن دون آخر من مواطن المكرر . وقد يكون المعنى الأصلى واحدا لكن العبرة فيه من جهات مختلفة وعلى أنحاء متعددة ، فهو يكرر ليقلب على وجوهه المختلفة واعتباراته المتعددة لإظهار ما فيه من عبر مختلفة وعظات متنوعة . مثله فى ذلك كمثل الجوهرة تكون فى ذاتها واحدة لكنها من جوانبها ذات أشكال هندسية مختلفة وصور رائعة ؛ فهى فى كل جهة من جهاتها تعطى شكلا خاصا يبتهج به الرأى ابتهاجا خاصا ،

(١) راجع « روح الاجتماع » تأليف جوستاف لوبون وترجمة فتحى زغلول ص ٨٢ وما بعدها ، وكذلك « بحث البلاغة وعلم النفس » للشيخ أمين الخولى ، وكذلك الجزء الأول من « نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور » للشيخ البقاعى .

مكتبتنا العربية

كلما أدارها وقلبها بين يديه أعطته ذلك من نفسها ، ثم لا يكون [illegible] وبين يديه فى كل مرة إلا الجوهرة نفسها .

جاءت هذه المكرورات مع المفارقات [illegible] وفيه [illegible] حلاوة وطلاوة، وأضفت عليه رونقا وبهاء [illegible] فإن كلام الأديب والبليغ إذا تكرر [illegible] عليه آفة التهافت، وظهرت عليه [illegible] التخاذل والتفكك إن لم يكن فى [illegible]

وفوق ما فى هذا التكرير مع التنويع [illegible] وإثارة كوامن اليقظة فى نفسه مع [illegible] الظاهرة فى كتاب الله على المعاندين [illegible] مع الارخاء فى العنان والمساهلة [illegible] دعاهم القرآن نفسه إلى معارضته [illegible] صورا متماثلة ويكرر لهم أمثالا متعددة [illegible] وعن الإتيان بالمثل الواحد عاجزون

دأب الزنادقة والملحدون فى القديم [illegible] على التشهير بكتاب الله فى غير ما علم ولا [illegible] هذا الحسن قبحاً ، ومن هذا التنويع فى [illegible] اختلافا ، فقالوا إن التكرار فى ذاته أمر مستهجن [illegible] كان مجرده من هذه الافتراقات التى يلتاث بها، ومن أين يكون [illegible] واحد؟ وكيف تختلف الحكاية والمحكى شىء واحد فيما كان من قبيل القصص؟ وبلغت الحماقة ببعضهم أنه كان يملى على تلامذته ومريديه طوائف من هـذه الآيات يكلفهم كشف ما يزعمه من هذه العورات وإحصاء ما يدعيه عليها من هذه الهنات .

ومن أجل الرد على هؤلاء ، وفوق ما أسلفناه آنفا ، نفسح المجال للامام

---

(١) راجع التفسير الكبير للفخر الرازى سورة البقرة الآية ٢٣ .

(٢) راجع الاتقان للسيوطى ص ٦٨ حـ ٢ ط الحلبي .

مكتبتنا العربية

السكاكى حيث يقول فى كتابه المفتاح فى الفصل الأخير منه : « ومنها أنهم يقولون لا شبهة فى أن التكرار شىء معيب خال من الفائدة ، وفى القرآن منه ما شئت ، ويعدون [illegible] قصة فرعون ونظائرها ، ونحو « فبأى آلاء ربكما تكذبان » و « ويل يومئذ للمكذبين » وغير ذلك مما ينخرط فى هذا السلك . [illegible] مختلفة فما أجهلكم فى عدها تكرارا [illegible]

[illegible] كانت ذنوبى فقل لى كيف أعتذر ؟

[illegible] فائدة سوى تبكيت الخصم لو قال عند [illegible] المكن فلا مجال للكلام فيها ثانيا لكفت ؟ [illegible] ويل يومئذ للمكذبين ، فذهوب به مذهب [illegible] أو مذهب ترجيع القصيدة يعاد بعينه [illegible] الترجيع إما دخيل فى سمة تفنين الكلام [illegible] ذو مكابرة » اه وحيث يقول « ومنها [illegible] يقولون [illegible] فى قرآنكم فى مواضع إعادة على تفاوت فى النظم [illegible] بالزيادة والنقص وتبديل كلمات بأخرى فإن كان النظم الأول [illegible] فى الثانى الذى يضاده بنوع من الزيادة والنقص وغير ذلك أن يكون [illegible] وكذا فى الثالث الذى يضاد الأولين بنوع مضادة أن يكون [illegible] أمثال ذلك فكيف يصح أن يدعى فيه كله أنه معجز والإعجاز يقتضى أن يكون فى غاية الحسن لا أن يكون دونها بمراحل ؟ من ذلك ما ورد فى سورة آل عمران كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآياتنا فأخذهم الله بذنوبهم والله شديد العقاب ، وفى سورة الأنفال كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كفروا بآيات الله فأخذهم الله بذنوبهم إن الله قوى شديد العقاب ، وفى سورة الأنفال أيضا كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم فأهلكناهم بذنوبهم وأغرقنا آل فرعون وكل كانوا ظالمين . فنقول لهم . الذى ذكرتموه من لزوم التفاوت فى الحسن يسلم لكم إذا فرض ذلك التفاوت فى المقام الواحد لامتناع انطباق المتضادين على شىء واحد ، أما إذا تعدد المقام فلا لاختلاف المقامات وانطباق كل واحد على مقامه . ونحن

مكتبتنا العربية

نبين لكم انطباق ما أودعتموه من الصيغ الثلاث على مقاماتها باذن الله ليكون المتدبر مثالا يحتذيه » اهـ

ثم شرع ـ رحمه الله ـ فى بيان ذلك على نحو ما فصلته فى رسالتى « متشابه النظم فى قصص القرآن (١) » مفارقة مفارقة مما يتبين لقارئه فى نهاية الأمر أنه ما من وجه من وجوه هذه الافتراقات إلا وهو عائد الى مقتضيات الأحوال ورعاية السياقات والسباقات واللحاقات ، ورعاية ما بين الآيات من المناسبات وبين الألفاظ بعضها وبعض ، وبينها وبين ما هى فيه من الوضع والمكان ، ورعاية ما يكون بين التراكيب والعبارات والألفاظ والحروف من المجانسة والمشاكلة والمقابلة وسائر المحسنات البديعية التى تكون وجوه حسن وبلاغة إذا اقتضاها المقام ، ورعاية ما تكون عليه الآيات من مكيها ومدنيها وتقدمها بحسب الترتيب الذى استقر عليه المصحف بمثابة من أوله أو آخرها ، ورعاية الفاصلة القرآنية والجرس الصوتى والنغم الموسيقى ، ورعاية ما يحيط بالآيات المنزلة من الظروف والملابسات ، كأسباب النزول والحالة النفسية المنزلة عليه والمخاطب بها والسامع لها ، وما يهجس فى نفوس هؤلاء من الهواجس والانفعالات أيا كانت مثيراتها ، فانه لما كانت هذه المذكورات تختلف فى موضع عنها فى آخر وكانت فى القرآن أنواعا مختلفة بطبيعة الحال ، كان من ذلك أن يحصل ما يجرى من مفارقات بين المكرر لمعنى أصلى واحد يقع أحد المكررين فى مكان يقتضى من الوجه والعبارة ما لا يقتضيه المقام الآخر الذى يقع فيه ثانى المكررين على وجه آخر وعبارة أخرى لا يصلح وجه فى غير موضعه ولا يصلح غيره فى موضعه ، وتنادى هذه الافتراقات على نفسها أنها أولى أن يعترض بعدمها ألف مرة من أن يعترض بوجودها نصف مرة (٢) ؟

« للبحث بقايا »

(١) تحت الطبع .

(٢) راجع « إعجاز القرآن » للرافعى ط رابعة ص ٢٠٠ ، ٢١٩ وما بعدها « نظم القرآن » « الحروف وأصواتها » « الكلمات وحروفها » « الجمل وكلماتها » .

أدباء الأزهر فى القرن التاسع عشر
وأثرهم فى الحركة الأدبية (١)

لفضيلة الأستاذ الشيخ عبد الجواد رمضان
الأستاذ بكلية اللغة العربية

انتهى القول فى تعريف « الأدب » إلى أنه : مأثور الكلام نظما أو نثرا ، وما يتصل به ، لتفسيره أو تحليله أو نقده ، وبيان حظه من الجودة ، ومواضع الجمال الفنى فيه .

والأدب بهذا المعنى يشمل نوعيه : الانشائى ، والوصفى . ولا أريد أن أعرض لتفاصيل هذه الأوصاف فقد تكفلت بها كتب الدراسة فى مختلف المعاهد ، ثم جمل الكلام عنها فى هذه المجلة من الحديث المعاد ؛ وإنما يعنينى أن أشرح — فى أضيق الحدود — عنوان هذا المقال الذى هو من عمل المجلة ووضعها وألفاظها ، حتى يفهمنى القارىء الكريم ويسايرنى على نور .

فأدباء الأزهر — موضوع الحديث — يصح أن يراد بهم « مبتكرو » النظم والنثر ؛ ويصح كذلك أن يراد بهم « نقاد الأدب » أو « علماء الأدب » . ويقتضينا تحديد الزمن بالقرن التاسع عشر ، أن نقدم الكلام على « علماء الأدب » قبل الحديث عن الشعراء والكاتبين ، لما لا يخفى على القارىء الكريم ، ولما سيتضح تمام الوضوح ، بتمام هذا الحديث ، إن شاء الله .

الأدب الوصفى

الأدب الوصفى ، وإن شئت فقل : النقد الأدبى ، وإن شئت فقل : علم الأدب — فى طبيعة التعليم الأزهرى منذ أقدم العهود ؛ فان القطب الذى عليه مدار الدراسة فى الأزهر ، هو القرآن الكريم ، غرة مأثور الكلام فى تاريخ البيان اللغوى ؛ والشمس التى يُزَهى بمقدار حظه من أشعتها كل بيان إنسانى

[١] مؤخر من تقديم سهوا

مكتبتنا العربية

فى الوجود العربى ؛ يتناوله الدارس المتكلم فى الأزهر من ناحية أنه معجزة سيد الخلق محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم الخالدة على وجه الزمان ؛ ويتناوله الدارس الفقيه فى الأزهر من حيث إنه أصل أصول الأحكام الشرعية وينبوعها ومصدرها ؛ ويتناوله الدارس المحدث الأزهرى من [illegible] ما انعقد بين الكلامين من صلات ، كالبيان ، والخصوص ، والعموم [illegible] الإطلاق ، والتقييد ، والتفصيل ، والنسخ . الخ الخ . ويتناوله النحوى [illegible] أصوله التى ينهض عليها بناؤه ، ويشرف [illegible] من حيث إنه المثل الأعلى للجمال اللفظى والمعنوى [illegible] الفصاحة والبلاغة من دلائل الإعجاز ؛ ويتناوله الدارس [illegible] صور الجمال البيانى فى كل مظهر [illegible] ومختلف العلوم والفنون ، التى تدين [illegible] بفضل اتصالها بخدمته .

كل أولئك وغيرهم من الدارسين فى الأزهر [illegible] نواحيهم الخاصة ، ولكنهم لا يقتصرون [illegible] هذه النواحى الخاصة ، بل يستقصون ويستطردون من موضوعاتهم [illegible] لما ركب فى طباعهم من الإغرام باستيفاء [illegible] الاستطراد التى مضى باشتراعها أبو عثمان الجاحظ ، وقام [illegible] فى الدراسة وفى التأليف وفى المحاضرة رجال الأزهر إلى اليوم [illegible] اليوم . بيد أن هذا التناول الاستطرادى يختلف باختلاف المذاهب والمشارب ؛ ويختلف باختلافه قرب الباحث مما عرف بالنقد الأدبى [illegible] على أن صلته بالأدب الوصفى غير منقطعة على كل حال .

الأزهر — إذن — أستاذ الأدب الوصفى فى القرن التاسع عشر ، غير مدافع ؛ حمل لواءه داخل الأزهر وغزا به المؤسسات العلمية التى استجدت آنئذ ، فانتصر وظفر ، ووضع طابعه الجليل التالد على كل مُطْرِف حديث . فإذا رأينا جميع مدرسى الأزهر يأخذون من « الأدب الوصفى » بحظ متفاوت فى دروسهم ، كما ألمحنا آنفا ؛ فإننا — مع

مكتبتنا العربية

ذلك أن رجاله قد سبحوا في مختلف المدارس المدنية، والمعاهد الخصوصية، يدرسون ويوجهون، ويقومون على التدريس والتوجيه؛ ويتخرج في مدارسهم من يخلفهم في عروشهم، فيتمم رسالتهم، ويحمل رايتهم، ويقوم في مذاهبهم في العلوم والفنون والآداب مقام المخلص الأمين.

هذا الشيخ زين المرصفي يدرس في الأزهر، ثم ينتقل إلى المدارس، فيقوم بالتدريس فيها، ثم يرقى حتى يصل إلى منصب كبير المفتشين فيها؛ ويبقى في منصبه هذا حتى سنة [illegible]. وهذا الشيخ حسين المرصفي صاحب «الوسيلة الأدبية في العلوم العربية» يدرس كذلك في الأزهر، ثم ينتقل إلى المدارس، فيدرس ويؤلف، ويخلف من الآثار ما يحفظ له المجد والفخر. وهذا الشيخ حسن الطويل؛ يدرس في الأزهر، فيخرج أمثال: الشيخ محمد أبي خطوة، والشيخ محمد عبده، وإبراهيم بك اللقاني، والشيخ عبد الرحمن قراعة، وغيرهم من أعلام العلم والأدب؛ ثم ينتقل مفتشا في وزارة المعارف فيوجه ويقوم؛ ثم ينتقل إلى التدريس في «دار العلوم» فيخرج أمثال: الشيخ حسن منصور، والشيخ محمد المهدي، والشيخ محمد الخضري، والشيخ عبد الوهاب النجار؛ وغيرهم من أساتذة رجال «النهضة الحديثة» الذين ملأوا الدنيا وشغلوا الناس على حد ما قيل في «أبي الطيب المتنبي». وغير من ذكرت كثيرون، قاموا في الآفاق العلمية المصرية مقام النجوم فملأوا أرجاءها هدى ونورا؛ كمولانا شيخ الإسلام، المغفور له الشيخ حسونة النواوي، والمغفور له الشيخ سليمان العبد؛ وأفقه فقد عرفه القرن الماضي والحاضر: المرحوم سيد المرصفي، أستاذ الأساتذين.

أعود فأقول: كان الأزهر في القرن التاسع عشر، أستاذ «النقد» غير مدافع؛ ولم يزل الأزهر في القرن العشرين أستاذ «النقد»؛ وسيبقى الأزهر إلى يوم القيامة، أستاذ «النقد» كذلك غير مدافع ـ وليست هذه دعوى شيخ أزهري رجعي متعصب، ولكنها دعوى يقوم عليها ألف دليل ودليل.

والدعاوى ـ مالم يقيموا عليها بينات ـ أبناؤها أدعياء

لقد استجدَّ فى عالم الأدب ، علم يسمى «تاريخ الأدب» مضى بفضل نقله الينا المرحوم الأستاذ : «حسن توفيق العدل» فى عودته من بعثته إلى ألمانيا عام ١٨٩٢ فيما أذكر . وكان أول من ألف فيه طيب الذكر الأستاذ العلامة جورجي زيدان . وشاركه فى الوقت ، أديب الاسلام الفحل ، المغفور له الأستاذ الأعظم : مصطفى صادق الرافعى ، غير أن كتاب الرافعى أميل إلى «النقد الأدبى» منه إلى «تاريخ الأدب» فهو وسط بين كتاب «جورجى زيدان» وبين «المواهب الفتحية» للعلامة المغفور له الشيخ حمزه فتح الله و «الوسيلة الأدبية» للعلامة المغفور له الشيخ حسين المرصفى .

أجل ، لقد استجد «تاريخ الأدب» فى أواخر القرن التاسع عشر ، ثم مضى قدماً فى طريق التقدم السريع ، بفضل العناية به من جهة ، وبفضل ما اعانه به رجال البحوث من أزهريى الأصل من جهة أخرى ، ولقد أجدى «تاريخ التربية» على النقاد ، جدوى عظيمة الخطر ، و[illegible] تخطتها العد ، وأحسن اليهم إحسانا لا يقوم له شكر ، [illegible] الإنصاف المصرف غير المتحفظ — نقطع بأن علم «تاريخ الأدب» [illegible] إلى صميم «النقد الأدبى» ولكنه اتجه إلى «منهج [illegible]» وفسح فى نواحيه شعابا وخاجا كانت قبله غير [illegible] فضل تاريخ الأدب شكليا أكثر منه جوهريا [illegible]

فليسأل المعاصرين من أعلام النقد الأدبى [illegible] العلمى احرزوا ما أحرزوا من المكانة الأدبية [illegible] الحديث ، أم بالنقد الأدبى ، صادر الأزهر [illegible] مؤلفاتهم ويتذوق ويتعمق ، ثم ليحكم

وأخرى ، وهى أن يذهب فيدرس [illegible] «تاريخ الأدب» دراسة المتأمل المتعمق المستقصى [illegible] أن ينقد الأدب نقدا تطمئن النفس اليه ، ويحسن [illegible] لا ريب أنه لن يستطيع ذلك حتى يدرس الأدب دراسة أزهرية عميقة تنتهى به إلى ملكة متذوقة شاعرة ، تنفذ إلى صميم الأدب ومصاصه ، فتصور مظاهر الجمال فيه ، كما تنفذ أشعة الشروق إلى الروض البهيج فيشرق نواره وتبسم أزهاره . فاذا فعل ، وهو لابد فاعل ، فسيكون أزهريا فى نقده ، أبى ذلك أو رضى ؟

الحياة الأدبية

فى القرن الثالث الهجرى

لفضيلة الأستاذ محمد عبد المنعم خفاجى

كانت الحياة العقلية فى القرن الثالث مزدهرة، فنشأت العلوم الاسلامية ، وترجم الكثير من آثار الثقافات والحضارات الأجنبية ، وتعددت الدراسات فى شتى أنواع العلوم والفنون والآداب ، وألفت أنفس الكتب وأعظم المؤلفات فى مختلف أنواع التفكير والثقافة .

وصبغت الثقافات المترجمة الحياة العقلية والاجتماعية فى هذا القرن بأصباغ جديدة [illegible]

و[illegible] كانت عليه من قبل وخاصة فى [illegible] الكتابة والشعر ، أما المعانى والأخيلة فقد [illegible] الذهنية فى تفكير الكتاب والشعراء [illegible]

[illegible] وصعت موضع العناية بالترجمة فإن [illegible] ولم يتأثر به الأدب والشعر فى نهضتهما [illegible] وقد أفاد من القصص والحكم اليونانية [illegible] الثقافة اليونانية عقلية بعض الأدباء [illegible] والمعانى والخيال .

[illegible] الأدب العربى كذلك كان طفيفا ، لا يعدو تلك [illegible] النجوم أو الرياضة فى الشعر ، وهذه القصص الهندية التى [illegible] كليلة ودمنة ، وتلك الحكم المترجمة والألفاظ المعربة .

---

(١) راجع : ٢٤٤ تاريخ الأدب العربى للزيات ، ٢٨٠ / ١ ضحى الإسلام ، ٢٣٥ الأدب العباسى لمحمود مصطفى ، ٤٥ تاريخ الحضارة الاسلامية لبارتولد ، ٦٦ الفن ومذاهبه فى الشعر العربى .

وأثر الفرس فى الأدب العربى كبير ، فقد كان للفرس شعر وأمثال وأدب وضع تحت أعين العرب ، وكان للعرب الذين يجيدون الفارسية وللفرس المتعربين ، كبشار وأبى نواس وكالعتابى ، مجال كبير فى الأدب ، فأخرجوا أدبا عربيا فيه معانى الفرس وبلاغة العرب ؛ وأدب [illegible] تأثر كثيرا [illegible] الفرس ؛ والتوقيعات كان للفرس فيها أثر كبير ، وقد ترجمت عن الفارسية « توقيعات كسرى » ؛ وعنهم نقلت آثار كثيرة من الأدب القصصى ، وكان الشعراء ينظمون مايتسرب إليهم من الصور الفارسية ، كان كسرى أنوشروان مشتهرا بحب النرجس ، وكان يقول هو ياقوت أصفر بين در أبيض على زمرد أخضر . فقال الشاعر :

وياقوتة صفراء فى رأس درة مركبة فى قائم من زبرجد
كأن بقايا الطل فى جنباتها بقية دمع فوق خد مورد (١)

وكان أردشير بن بابك يصف الورد بأنه در أبيض وياقوت أحمر على كرسى زبرجد أخضر توسطه شذور من ذهب أصفر له رقة الخمر ونفحات العطر ، فقال محمد بن عبد الله بن طاهر (٢)

كأنهن يواقيت يطيف بها زمرد وسطه شذر من الذهب
فاشرب على منظر مستطرف حسن من حمرة مزة كالجمر فى اللهب

وأخذ ابن الرومى معنى حكمة لبهرام جور (٣) فنظمه شعرا (٤) وكان من الفرس أئمة الكتاب وأعلام الشعراء الذين أحدثوا آثارا واسعة فى أغراض الشعر ومعانيه وأوزانه وقوافيه . وإذا كان الأدب فى عهد بنى

---

(١) ٢٣٢ / ٢ زهر الآداب (٢) وينسب البيت الأول لعلى بن الجهم قال أبو هلال : وهو من قول أردشير : الورد يتقدم [illegible] أحمر (٢٣ / ٢ ديوان المعانى) (٣) فارسى قديم تعلم العربية فى الحيرة وشعر بها . ويقول شمس الدين الرازى فى « المعجم » إنه أول من نظم شعرا فارسيا وأخذه عن العرب
(٤) ٢٨٧ / ٢ وما بعدها زهر الآداب .

أمية عربية خالصة فى المادة والمعنى ولم يكن للفرس الا مدارسته وحفظه وروايته ، فقد كان فى عهد بنى العباس أثرهم عميق ، ونقلوا كثيرا من آداب الفرس وحكمهم وأمثالهم وتاريخهم وقصصهم وأسمارهم ، مما ظهر أثره فى الأدب العربى وتعدد موضوعات الأغراض ، وظهور التأنق فى النثر والشعر ، وطابت ثروته وتقدمه وتنبيه محاسن التفكير والخيال

٢ — ويمتاز الأدب فى هذا العصر بظهور آثار الحياة العقلية فيه ، وصدق تمثيله للحياة الاجتماعية ، وبكثرة الزهد والحكمة وأخبار الزهاد والحكماء فيه ، وبتأليف الكتب الجامعة فى الأدب كالبيان والتبيين وعيون الأخبار والكامل والعقد ، وبأن الأدب أصبح فى هذا العصر صناعة علمية فى الانشاء والتأليف ، وظهرت تتجلى فيه بدائع التصوير واتساع الخيال والمبالغة الشديدة والاكثار من الحكمة والمثل والبراهين العقلية . وقد أصاب صناعة الأدب ضعف لفساد الدولة وقلة التشجيع وشيوع الشعوبية وانصراف الناس إلى الفلسفة وهذا مما تحدث عنه ابن قتيبة فى مقدمة أدب الكاتب .

٣ — وقد ضعفت الخطابة لأعجمية رجال الدولة ، وزوال أسبابها ، فالدولة وطدت دعائمها ، وحكمت بالاستبداد ، وبطلت الخطابة فى الجيوش ، وضعفت الحركات ، وصارت فى الكتابة وقد تنوعت أغراضها وأساليبها غنى عن الخطابة فضعف شأنها ، ولم يبق لها إلا مظهرها الدينى ، حيث كان الخلفاء يخرجون فى الجمعات والجمعة والعيدين ، وآخر خليفة خطب على المنبر هو الراضى .

وقد بلغت الكتابة والرسائل فى هذا العصر مكانة عالية ، وكان للانقلاب العباسى أثر فى العقول ، ظهر فى صناعة الكتاب ، فاستنبطوا عيون المعانى وتخيروا شريف الألفاظ وفتحوا أبواب البديع ، وبذ الكتاب فحول الشعراء فى عظمة الجاه والرياسة

ونبغ كثير من أعلام الكتاب مثل : أحمد بن يوسف ، ومحمد بن عبد الملك الزيات م ٢٣٣ هـ ، وإبراهيم بن العباس الصولى م ٢٤٣ هـ ، وسعيد بن حميد

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

مكتبتنا العربية

م ٢٦٠هـ ، والحسن بن وهب م ٢٦٥ هـ (١) ، وسليمان بن وهب م ٢٧٢ هـ ، وأبو العباس أحمد بن ثوابه الكاتب م ٢٧٧ هـ ، والمرثدي وكان يكتب للموفق م ٢٧٨ هـ ، وأبو الحسين جعفر بن محمد بن ثوابه الكاتب وكتب للمعتضد م ٢٨٩هـ ، ونطاحة الكاتب أحمد بن اسماعيل بن الخصيب الانبارى كاتب عبيد الله بن عبد الله بن طاهر م ٣٠٠ هـ ، ولنطاحة كتاب « طبقات الكتاب » ، ومحمد بن مكرم الكاتب م بعد عام ٢٨٢ هـ ، وابراهيم بن المدبر م ٢٧٩ هـ وله « الرسالة العذراء » فى موازين البلاغة ، وابن طيفور (٢٠٤ - ٢٨٠ هـ) ، وابن المعتز (٢٤٧ - ٢٩٦) ، وعلى بن الحسن المتوفى بعد عام ٣٠٠ هـ ، وأبو العباس أحمد بن عبيد الله بن عمار م ٣١٤ هـ وله كتب كثيرة فى النقد والموازنة ، وسوى هؤلاء .

٤ — ونبغ فى هذا العصر أعلام ذائعة الشهرة فى الأدب وفى التأليف ، منهم :

الجاحظ م ٢٥٥ هـ وله مؤلفات كثيرة مشهورة كالبيان والحيوان وسواها ، وأبو سعيد الحسن السكرى م ٢٧٥هـ وكان راوية البصريين وجمع أشعار الجاهليين والاسلاميين ، وابن قتيبة م ٢٨٦ هـ وله عيون الأخبار وأدب الكاتب والشعر والشعراء وسواها ، وابن أبى الدنيا عبد الله بن محمد م ٢٨١ هـ وكان مؤدب المكتفى وله كتب كثيرة ، وابن طيفور تلميذ الجاحظ وله سرقات الشعراء ، وكتاب بغداد ، والجامع فى الشعراء ، واختيار المنظوم والمنثور (٢) ، ومنهم أبو على البصير الفضل بن جعفر م ٢٥١ هـ ،

(١) وفى معجم الأدباء أنه ولد عام ١٨٦ هـ ومات فى آخر خلافة المتوكل (راجع ٣/٢٢١ معجم الأدباء نشر مرجليوث)

(٢) هو أربعة عشرة جزءا ، ويوجد منه ثلاثة أجزاء فى مجلد مخطوط بدار الكتب الملكية وهى : الحادى عشر فى بلاغات النساء وقد طبع بمصر مستقلا ، والثانى عشر ويجمع قصائد ورسائل لايوجد لها مثل ومنها المعلقات والثالث عشر يجمع فصول ورسائل مختارة .

مكتبتنا العربية

وأبو العيناء محمد بن القاسم بن خلاد (١٩١ — ٢٨٣ هـ) وجحظة البرمكى (٢٢٤ — ٣٢٦ هـ) ، ومنهم ابن المعتز الخليفة العالم الكاتب الشاعر ومؤلف البديع وسرقات الشعراء وطبقات الشعراء وسواها من جيد المؤلفات فى الأدب والنقد والموازنة ، إلى غير هؤلاء من أعلام الأدب وفحول الأدباء.

٥ — ومصادر الثقافة الأدبية فى هذا العصر كثيرة متعددة ، وتشمل :

ا — القرآن والحديث والكتب المؤلفة حولهما مما يتصل بالدين والأدب ، كمجاز القرآن لأبى عبيدة ، وإعجاز القرآن للجاحظ وللواسطى م ٣٠٦ .

ب — خطب الخطباء وحكم الحكماء ورسائل الكتاب والأدباء .

ج — كتب التاريخ التى جمعها أو ألفها المؤرخون فى هذا القرن والذى سبقه ، كابن هشام والبلاذرى واليعقوبى والطبرى وسواهم .

د — كتب السياسة ، ومنها كليلة ودمنة والأدب الصغير والكبير والدرة اليتيمة ورسالة الصحابة لابن المقفع ، ومنها رسالة طاهر بن الحسين إلى ابنه عبد الله ، ومشاورة المهدى لأهل بيته فى حرب خراسان وهى من إنشاء محمد بن أبى الليث الذى كتبها عام ١٧٠ هـ بأمر المهدى (١) .

هـ — كتب الأدب الجامعة كالبيان والكامل وسواها .

و — كتب النقد والبيان وكتب الشعر والشعراء وطبقاتهم وهى كثيرة لا تحصى .

هذا إلى كثير من كتب الحكمة والأخلاق والتصوف والفلسفة التى كانت الزاد العقلى الذى استمد منه كثير من الأدباء ثقافتهم الواسعة أما تصوير المذاهب الأدبية العامة ، والصراع الأدبى بين القديم والحديث ، وآثار هذا الصراع فى الأدب فى القرن الثالث ، فذلك ما نرجىء الحديث عنه إلى مقالة أخرى .

(١) راجع ٩٥ و ١٠٧ / العقد الفريد لابن عبد ربه .

مباحث لغوية

الإبدال

الإبدال غير المطرد

ذكرت فيما سلف من القول الإبدال المطرد . وأعرض هنا للإبدال غير المطرد . وهو ما لا يجرى به قياس ، ولا ينتظمه قانون ، وإنما يحفظ فى كلمات أثرت عن العرب .

وهذا الضرب من الإبدال يجرى فى جميع حروف الهجاء ؛ وإن كان يكثر فى بعضها ويشيع ، ويقل فى غيره ؛ « قال (١) أبو حيان فى شرح التسهيل : قال شيخنا أبو الحسن ابن (٢) الضائع : قلما تجد حرفا إلا وقد جاء البدل فيه ولو نادرا » .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

وأذكر فى هذا المقام أن أحرفا جاء فيها الإبدال على هذا الوجه غير المطرد فالتزمته العامة ، وجعلته منهجها الذى لا تحيد عنه ، ومضت به ألسنتهم ، وانطوت عليه جوانحهم ، فلا يرعونه ولا يعرفون له بدلا .

١ — فمن ذلك إبدال الذال دالا . يقول العامة : دكر فى ذكر ضد أنثى ، ودراع فى ذراع ، وودن فى أذن ، وفيه مع إبدال الذال إبدال الهمزة واوا ، على حد قولهم واخيته فى آخيته ، وورخ الكتاب فى أرخه ، ووكاف فى إكاف . وقد جاء هذا فى اللسان العربى فى بعض الكلم : جاء الدكر فى الذكر ، وهو لغة ربيعة ؛ قال الليث : وربيعة تغلط فى الذكر فتقول : الدكر . وقد أبان سيبويه أن منشأ هذا قولهم ادكر ، قال فى الكتاب (٣) : « وأما الدكر فإنهم كانوا يقلبونها فى مدكر وشبهه ، فقلبوها هنا ، وقليل شاذ شبيه بالغلط » . وجاء

---

(١) المزهر فى مبحث الابدال . (٢) هو على بن محمد الإشبيلى الأندلسى توفى فى سنة ٦٨٠ هـ . (٣) ٢/٤٢٦ .

مكتبتنا العربية

فى قراءة ابن مسعود : « لا يرقبوا فيكم إلاً ولادِمة » بالدال حكاه ابن خالويه فى البديع (١) . ويقول العرب : ما ذقت عـدُوفا وعذوفة أى شيئا ، ويقول بعض [illegible] فيه عدوفا . والظن أن الدال بدل من الذال ؛ إذ كانت فى النطق [illegible] فكان فى إبدالها من الذال استرواح واستخفاف . ويحكى (٢) [illegible] عمرو (٣) الشيبانى قال : كنت عند يزيد بن مزيد الشيبانى [illegible] بن زهير (٤) :

و[illegible] يقـدن بالمهـرات والأمهـار

فقال [illegible] صحفت [illegible] عمرو ، إنما هى عدوفة . فقلت له : لم أصحف [illegible] ولا [illegible] الحرف بالدال ، وسائر العرب بالذال .

و[illegible] قول العرب فى مثل من أمثالهم : إلاّ دِهْ ولا دِهْ ، و[illegible] لا [illegible] ولا [illegible] إن لم تكن الآن هذه الخصلة التى يتحدث [illegible] أن حينها قد حان ، يضرب مثلا فى كل شىء [illegible] من قضاء دين قد حل أو حاجة طلبت ، وما أشبه ذلك من الأمور التى لا يسوغ تأخيرها . والظاهر أن أصل ذلك إلا ذه ولا ذه [illegible] الإشارية ، نطق بالدال أول من نطق بالمثل لأمر فى لسانه [illegible] .

وقد [illegible] فى هـذا [illegible] أن ترك الذال الى الدال لغة السريانيين ؛ كما [illegible] صاحب فقه اللسان .

(١) ص ٥٢ فى شواذ سورة التوبة . (٢) انظر اللسان فى عدف .

(٣) هـو إسحق بن مرار أخذ عنه الامام أحمد بن حنبل . توفى سنة ٢٠٦ هـ

(٤) هذا من قصـيدة فى الحماسة منسوبة إلى الربيع بن زياد لا إلى قيس بن زهير . والذى فى الحماسة : ما يذقن عذوفا ، والمجنبات الخيل تجنب إلى الأبل .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

وقد يكون مما ورد من ذلك قولهم اقذ حرّ الرجل إذا تهيأ للسباب ، ويقولون : اقد حرّ ، ويقول الفراء (١) : إن الذال أجود .

٢ — ومن هذه الأحرف الذال والزاى . يبدل العامة الذال زايا فى بعض الكلمات . يقولون زكرت فى ذكرت ، وزبحت فى ذبحت ، وزنب فى ذنب ، وزوق فى ذوق ، وزهب فى ذهب الى غير ذلك مما هو جار فى كلامهم . وقد فقدت الذال فى لسان العامة المصرية البتة ، فلا تراها إلا مبدلة دالا أو زايا. ويقول صاحب فقه اللسان : إن إبدالها زايا هو الذى جرى عليه اللسان المصرى . ويرى القارئ أنى جملت حديثى عن العامية المصرية . وقد بعثنى على هذا التخصيص أن أهل المغرب — كما أخبرنى الثقة الخبير بأحوالهم — لا يزالون ينطقون بالذال من مخرجها ، ويأتون بها على وجهها .

وأصل هذا الابدال ما ورد فى اللسان العربى فى كلم قليل . من ذلك أنه يقال : ذبرت الكتاب أى قرأته قراءة خفيفة أو سريعة ، ويقال فى ذلك أيضا : زبرته ، والظن أن الزاى بدل من الذال ، فإن الزاى أسهل فى النطق من الذال التى تحتاج الى الضغط على الثنايا ، ومن ثم جرى هذا فى لسان العامة لما كانت تدع الصعب فى المنطق وتجنح الى السهل ، ويقال أيضا : ذَرَق الطائر وزرق ، وذرق الطائر خرؤه . ومما ورد من ذلك قولهم (٢) : مُزّمان فى مذ زمان ، فتراهم للادغام أبدلوا الذال زايا .

٣ — ومن ذلك الثاء تبدل تاء . وقد عدمت الثاء فى لسان عامتنا المصرية ؛ فيقولون فى ثلج تلج ، وتلاتة فى ثلاثة ، وكذلك ما تصرف من هذا العدد ، ويقولون تِفل فى ثُفل ، وتار فى ثار . ومما ورد فى العربية من ذلك قول بعضهم الخبيت فى الخبيث ، قال السموءل ابن الغريض اليهودى من أهل خيبر :

ينفع الطيب القليل من الرز ق ، ولا ينفع الكثير الخبيت
وأتتنى الأنباء من ملك داو د فقرت عينى به ، ورضيت

(١) انظر ابن السكيت .
(٢) انظر الكتاب لسيبويه ٢ /٤١٩

سأل الخليل الأصمعي عن الحبيث فى هذا البيت فقال له : أراد الخبيث، وهى لغة خيبر. فقال له الخليل : لو كان ذلك لغتهم لقال : الكثير، وإنما كان ينبغى لك أن تقول : إنهم يقلبون الثاء تاء فى بعض الحروف . ويروى أن الأصمعى سكت عند كلام الخليل ، ولم يكن للأصمعى بصر بالقياس والنظر ، وأنى له أن يقف فى وجه الخليل ؟ وقد قال السيرافى فى التعليق على هذه القصة : وهذا عندى يحتمل وجهين : أحدهما أن يكون إبدالهم الثاء من التاء فى حروف بأعيانها — والحبيث منها — ولا يبدلونها فى جميع المواضع ؛ كما أبدلوا الثاء من الفاء فى مغفور ومغثور وفوم وثوم ، ولا يجب البدل فى كل موضع ؛ والوجه الثانى أن يكون الشاعر قال الكثير بالتاء ، غير أن الرواة نقلوه بالثاء على ما تتكلم به العرب ، ولم ينقلوا الخبيث بالثاء للقافية التائية . ويذكر صاحب فقه اللسان أن هذا الابدال هو الذى جرت به اللغة السريانية . ومما ورد فى العربية من هذا الابدال المبعوت فى المبعوث . وورد من الابدال للادغام (١) ابعتَّلك أى ابعث تلك ، وثلاتَ دراهم أى ثلاثة دراهم ، وقالوا : حدُّتهم يريدون : حدثتهم ، كما يقول العامة تماما .

وترى فى ألسنة العامة بعض الكلمات بالتاء وأصلها بالذال كشحات ، وأصله شحاذ . ومرد ذلك الى أن العامة الأولى أبدلت من الذال ثاء ؛ كما قال العرب : جثا وجذا فى معنى قام على أطراف أصابعه ، وجاءت العامة الأخيرة ، فأبدلت من الثاء تاء على المنهج الذى اطرد فى لسانهم . ولا يعجبن القارئ من حديث العامة الاولى والعامة الأخيرة ، فهذا الأصمعى يقول فى القَرْطبان للذى لا غيرة له : الكَلتبان مأخوذ من الكلب ، وهو القيادة ، والتاء والنون زائدتان ؛ وهذه اللفظة هى القديمة عن العرب ، وغيرتها العامة الأولى ، فقالت: القلطبان ، وجاءت عامة سفلى فغيرت على الأولى ، فقالت : القرطبان . على أنه ورد فى المادة شحث وشحذ ، ففى الحديث : هلمى المدية فاشحثيها بحجر أى حديها وسنيها ، فيكون التاء قد نطقت بها العرب .

١ — انظر فى هذه الشواهد الكتاب ٤١٩/٢ وما بعدها .

٤ — وتبدل العامة فى بعض الكلمات السين من الثاء ، يقولون ميراس فى ميراث ، وسبت فى ثبت ، وسمرة فى ثمرة ، وسمن فى ثمن . ومما ورد فى ذلك قولهم : سار الرجل اليك أى ثار ، وساوره فى ثاوره . وقالوا : ثوه يجرى ثعابيب ، وهو أن يجرى منه ماء صاف فيه تمدد ، وقالوا فيه سعابيب . والأقرب أن الثاء فى هذا أصل ، فان مادة الثعب للسيلان [illegible] ، وليس من مادة السعب ، وقد يكون من هذا قولهم : أتانا مسى الظلام ، ومسيه ، وذلك حين اختلاط الضوء بالظلمة عند العشاء ، وعند طلوع الفجر ، وقولهم وطس والوطث للضرب الشديد بالخف .

٥ — ومن العامـة من يبدل من القاف همزة ، يقولون [illegible] فى قلت . وقد ورد من هذا فى اللغة الأفز فى القفز . ويبدو لصاحب القاموس أن أصله الوفز ، والأفز أقرب الى القفز فى معناه ، والظاهر أن أصله القفز كما ذكرت .

٦ — ومن العامة من يبدل من الجيم قافا ، يقولون [illegible] ، والوارد جلع كخلع . قال الراجز :

ياقوم إنى قد أرى نوارا [illegible]

وقد ورد من ذلك الشاروق فى الصاروج للنورة التى يطلى بها . وقد ورد عكس هذا الابدال ، وهو إبدال القاف من الجيم فى قولهم : عانجت الرجل فى عانقته . ومن إبدال القاف من الجيم فى لسان العامة قولهم : قمر الخبز . وأصله جمره أى وضعه على الجمر .

٧ — ويجرى فى لسان عامة أهـل المغرب إبدال الضاد ظاء ؛ يقولون : بَعْظُ القوم حظر ، يريدون : بعض القوم حضر . ومن ثم ترى فى بعض مطبوعات البلاد المغربية خطأ فى رسم الكلمات التى فيها ضاد ، وقد أتوا من قبل مانمودوه وألفوه . وقد كان هذا جاريا فى لسان الترك حين كانوا يتعصبون العربية ويصبون اليها ويتحدثون بها . وقـد بقيت لدينا بقية من ذلك العهد فما زلنا نقول ظابط فى ضابط ، وأهل الظبط فى أهـل الضبط . ومما ينبغى ملاحظته أن الظاء التى ينطق بها العامة ليست هى الظاء فى العربية ، فانهم لايخرجونها من الثنايا وطرف اللسان ، ويقول صاحب القاموس تبعا لأبى حيان :

مكتبتنا العربية

إن الظاء حرف خاص بلسان العرب ، ومما ورد من ذلك قول أعرابى : ظحى فلان بظبى .

٨ — وبعض العامة يبدل من الظاء ضادا فيقول : الضهر فى الظهر والعضم فى العظم والضل فى الظل . وقد روى فى القصة السابقة أن بعضهم قال : ضحى بضبى ، ويكون أصل هذا الابدال .

وبعد هذا أعرض كلمات جرى فيها الابدال فى غير اطراد فى اللسان العربى ولا فى اللسان العامى .

١ — فى كلمات أبدلت الصاد سينا ، يقول العرب : المسدغة فى المصدغة ، والسمغ فى الصمغ ، والعامة تقول لضرب من القثاء الفقوس وأصله الفقوص . ويقول فى القاموس : الفقوص البطيخة قبل النضج ، وهى لغة مصرية . ويقولون : فقس البيضة وأصلها فقص البيضة بالصاد ، ويقولون : آصير وأصلها اسير أى سار الى الغاية القصوى خاطفة ؛ كما يقولون فى هذا المعنى : تمشى .

٢ — والدال تبدل تاء ، ومن ذلك مد فى السير ومت ، ويقول العرب : الدفتر والتفتر ، ويقولون : التفتر . ومما جاء فى العامية من ذلك أنهم يقولون زغروته ، وزغاريت لصوت للنساء يرددنه عند الفرح ، وهو من زغردة الابل ، وهو هدير للجمل يردده فى حلقه .

٣ — وتبدل الياء من الهمزة فيقال رجل يلمعى فى ألمعى إذا كان ظريفا أو ذكيا ، والأصل — فيما يبدو — ألمعى ، إذ هو منسوب إلى ألمع أفعل تفضيل من لمع أى أضاء ، كأن الظريف منير ، وكذلك الذكى المتوقد مضىء منير . ويقال فى بلد بالشام أذرعات ويذرعات ، والياء بدل من الهمزة إذ الأصل أذرعات كأنه منقول عن جمع أذرعة جمع ذراع ، ويقال لرجل أبى قبيلة من العرب : أعصر ويعصر ، وأعصر هو الأصل ، لأنه منقول عن أعصر جمع عصر فانه سمى بذلك لقوله :

أ سمىَّ إن أباك غير لونه ... مر الليالى واختلاف الأعصر

ومما جاء من هـذا عن العامة قول بعض أهل الصعيد الأعلى : يامنة فى آمنة علم على امرأة ؟

عبيد الشعر
فى العصر الجاهلى

لفضيلة الأستاذ الشيخ رياض هلال
المدرس بالأزهر

النابغة :

أبو أمامة زياد بن معاوية النابغة ، نبغ فى الشعر لما احتنك فى السن ، قال صاحب الأغانى : وهو أحد الأشراف الذين غض منهم الشعر ، اتصل بالنعمان بن المنذر فاستخلصه لنفسه ، وأسبغ عليه من نعمته ، وما زال يتبسط على النعيم ، ويتفيأ ظلال الخفض ، حتى سعى حساده به عند النعمان ، فأقصاه وتوعده ، فرحل الى الغساسنة بالشام ، ومدحهم فقربوه وألطفوا له ، وساعد على ذلك ما كان بين المناذرة والغساسنة من منافسة ، فى تقريب الشعراء وترغيبهم ، فزاد ذلك من غضب النعمان عليه ، وما زال النابغة عند بنى غسان ، يصلهم بالدر ويصلونه بالذهب ، حتى بلغه أن النعمان فى علة ، فرجع إليه يطلب ويرجو البراءة ، بشعر هو من أخلد الشعر فى باب الاعتذار والتنصل ، حتى استل سخيمته ، وأحله منه فى المكان الأول ؛ وما كان للنابغة من غنى عن شعر فيه مديح لهؤلاء الملوك ، وفيه شكر لهذه الألطاف الملكية ، تعمل فيه الروية ، ويأتى عليه التهذيب والتنقيح ، حتى يصير أهلا لما يتضمنه من الثناء والمدح ، وحتى يكون شعره من الشعر ، بمنزلة الممدوح من الخلق ، وقد يكون لتعاطيه الشعر بعد احتناكه ، وحكومته بين الشعراء فى عكاظ ، دخل فى ترويه وتنقيحه وتهذيبه ، ولن ننسى أن محاولة النابغة استرضاء النعمان عليه كانت سببا فى تبينه شعره يلتمس له الجودة والصنعة .

أما شعره ، فهم يخصونه بالديباجة المشرقة ، والرونق ، وقلة السقط ، ويقصدون بذلك أنه متشابه من أطرافه ، فى جزالته ولمعان أسلوبه ، والحجازيون يقدمونه من هذه الناحية على الشعراء . ويلاحظ أن شعره أيضا

مكتبتنا العربية

موافق لهوى النفس ولهذا كثر الغناء به وذلك بعض أسباب تجويده ، وقد أجاد في وصف ليل الخائف ، واعتذار الجاني ، ومدح المنعم . وقد عرف له الشعراء هذه المكانة ، فقدموه للحكومة بينهم في عكاظ . ولنأخذ في تحليل شيء من شعره ، نتبين منه هذه الخصائص ونتعرف فيه هذه الصفات .

قال من قصيدة يمدح فيها عمرو بن الحارث الجفني ، وكان لقومه عنده أسرى ، فأطلقهم له بسبب مدحته :

كليني لهم يا أميمة ناصب ... وليل أقاسيه بطيء الكواكب (١)
وصدر أراح الليل عازب همه ... تضاعف فيه الحزن من كل جانب (٢)
تطاول حتى قلت ليس بمنقض ... وليس الذي يرعى النجوم بآئب
عليّ لعمرو نعمة بعد نعمة ... لوالده ليست بذات عقارب (٣)
وثقت له بالنصر إذ قيل قد غزت ... كتائب من غسان غير أشائب (٤)
بنو عمه دنياً وعمرو بن عامر ... أولئك قوم بأسهم غير كاذب (٥)
إذا ما غزوا بالجيش حلق فوقهم ... عصائب طير تهتدي بعصائب
يصاحبنهم حتى يغرن مغارهم ... من الضاريات بالدماء الدوارب (٦)
جوانح قد أيقن أن قبيله ... إذا ما التقى الجمعان أول غالب (٧)
لهن عليهم عادة قد عرفنها ... إذا عرض الخطي فوق الكواثب (٨)

(١) أميمة على نية الترخيم والتاء زائدة وفيها كلام . وناصب ذو نصب

(٢) أراح : رد . عازب بعيد .

(٣) العقارب المنن .

(٤) كتائب جمع كتيبة جماعة الخيل . أشائب فتيان أو أخلاط .

(٥) دنيا أي لحاً . (٦) الضاريات الجريئة المتعودة ومثلها الدوارب.

(٧) الموائل . (٨) الخطي الرماح نسبة الى خط : موضع بالبحرين .

مكتبتنا العربية

على عارفات للطعان عوابس ... بهن كلوم بين دام وجالب (١)
إذا استنزلوا عنهن للطعن أرقلوا ... إلى الموت إرقال الجمال المصاعب (٢)
فهم يتساقون المنية بينهم ... بأيديهم بيض رقاق المضارب
يطير فضاضها بينها كل قونس ... ويتبعها منهم فراش الحواجب (٣)
تخيرن من أزمان يوم حليمة ... إلى اليوم قد جربن كل التجارب (٤)
ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم ... بهن فلول من قراع الكتائب (٥)
تقد السلوقى المضاعف نسجه ... وتوقد بالصفاح نار الحباحب (٦)

يعتبر مطلع هذه القصيدة من أجود مطالع الجاهليين ، حتى فضلها بعضهم على مطلع طويلة امرىء القيس ، لأنه لا فصل فى الشطر الثاني لامرىء القيس ، بخلاف بيت النابغة ، وهذه القصيدة مستوية فى نظمها ، فلن تجد فيها لفظة نابية ، أو عبارة قلقة ، وقلما تجد ذلك عند غير المجودين ، ومن أسماهم النقاد « عبيد الشعر » . بدأها بهذا الرجاء المشعر بالشغل عن النجوى ، الى ما يعانيه من هم ناصب ، وليل كأنه لطوله غير ذاهب ، قد جمع على صدره الهموم ، من إسباغ الظلام ، وهو بذلك قد دل على حاله [illegible] موجدة النعمان عليه ، وأومأ الى طلبته بفكاك قومه من الأسر ، ثم بدأ يتحدث عن الاصطناع وعمل الاحسان ، فى الأوفياء من الشعراء ، حين يذكر أن الممدوح يتبع سنة أبيه ، إذ يصل صنيعه بصنيعه ، وأنه وثق له بالظفر والنصر ، ونوه بما لقومه من من صدق البأس ، وقوة الغناء فى الحروب ، حتى ألفتهم جماعات الطير ، لما تعودته من الخصب والشبع ، حتى لتراها حوما صواف الاجنحة ، فوق

(١) المراد الخيل ، عوابس لأقدامها على الأعداء . الجالب اليابس .
(٢) الأرقال الاسراع . والصعب غير الذلول . والمصعب الجمل لم يركب ولم يمسسه حبل (٣) الفضاض ما ينكسر من الشيء ، القونس ما بين أذنى الفرس وقونس البيضة أعلاها وفراش الحاجب عظمه . (٤) يوم حليمة بنت الحارث الجفنى يوم مشهور كان للغساسنة على المناذرة (٥) الفلول جمع فل الثلم فى السيف . والقراع التضارب . (٦) السلوقى نسبة إلى سلوق أرض باليمن . والصفاح الحجارة . والحباحب ما اقتدح من الشرر أو طائر وقيل رجل بخيل .

مكتبتنا العربية

جمعت الضاربين ، موفقات بكثرة الأشلاء والدماء ، وهو صاحب المعنى ومبتدعه ، ولا يخفى ما فيه من خيال مبدع ، وتصوير حسن ، لا يمكن أن يأتى عفو الخاطر ، ولكنها صناعة المروى المثقف . ثم انتقل الى استعراض صور الفرسان على ظهور الخيل ، المعودات اقتحام الغمرات ، عابسات ، لما يصيبها من وقع الرماح وأن أولئك الفوارس حين تلتحم الصفوف يدعون ظهور الخيل ، ويتهادرون تهادر الفحول ، يتساقون بينهم موارد الحمام ، بأسياف قاطعة المضارب . ثم انظر الى هذا الاختراع البالغ فى المدح غاية الجمال والحسن ، والذى سماه علماء البيان تأكيد المدح بما يشبه الذم ، فى قوله ولا عيب فيهم الخ ثم أضفى على السيوف ما يمنع عنها العيب لنفاستها وأنها متخيرة من يوم حليمة ، ليعيد إلى الأذهان خبر انتصار الغسانيين على المناذرة . ثم وصف هذه السيوف بما بالغ فيه أشد المبالغة فذكر أنها تقطع الدروع وتفلق الفارس ، وتنتهى الى الحجارة ، فتطير منها الشرر ، وهذه إطالة الصنعة وأثر المعاودة . والقصيدة كلها حبات عقد منظم مشرقة الديباجة منقحة الألفاظ ، متخيرة الأسلوب ، وهكذا يكون تجويد العبيد .

ومن معانى النابغة المجودة قوله :

فإنك كالليل الذى هو مدركى وإن خلت أن المنتأى عنك واسع

وقوله : وأى إنسان لا يشتمل عليه الليل بما فيه من إسباغ الظلام وتجمع الأحزان :

نبئت أن أبا قابوس أوعدنى ولا قرار على زأر من الأسد

وقوله :

وحملتنى ذنب امرئ وتركته كذى العر يكوى غيره وهو راتع

ثم انظر أخيرا الى هذا القياس فى قول النابغة يعتذر للنعمان :

ولكننى كنت امرأ لى جانب من الأرض فيه مستراد ومذهب

ملوك وإخوان إذ ما أتيتهم أحكم فى أموالهم وأقرب

كفعلك فى قوم أراك اصطفيتهم فلم ترهم فى شكر ذلك أذنبوا

تلك كلها معان تشهد أن النابغة من « عبيد الشعر » ، وأكرم بها عبودية يكون لها هذا النتاج !

مكتبتنا العربية

فى احتفال ذكرى المغفور له الملك فؤاد

مما ألقى فى هذا الاحتفال هذه الكلمة

لحضرة الأستاذ الفاضل زكريا أحمد البرى

سيدى مندوب حضرة صاحب الجلالة ـ حضرات أصحاب الفضيلة العلماء .

حضرات السادة :

يطيب لى ، فى يوم ذكرى المغفور له الملك العالم (فؤاد الاول) وقد حظيت بشرف استحقاق جائزته السنوية ، لاول الشهادة العالية لكلية الشريعة بالجامعة الأزهرية ، أن أبعث الى روحه الطاهر ، فى مثواه الكريم ، بأخلص الدعوات ، وأصدق الابتهالات أن يطيب الله ثراه ، ويجزيه خير الجزاء كفاء ما أسدى للعلم والعلماء ، والتعليم والمتعلمين ، من تشجيع وتكريم .

فللمغفور له الملك فؤاد ، فضل إنشاء الجامعة الأزهرية الحديثة بكلياتها المختلفة ومعاهدها النظامية ، وبرامجها التى سايرت الحياة ، وجمعت بين التليد من تراث الاولين السابقين ، والطريف من عمل أساطين العلم المحدثين ؛ ففى الأزهر تدرس علوم الطبيعة والرياضة ، والفلسفة قديمها وحديثها ، بجانب علوم الدين واللغة والاجتماع ، وبفضل المليك الراحل ، وحسن إرشاده ، وسامى توجيهه ، خرّجت الجامعة الأزهرية للدين حراسه ، وللقانون علماءه ، وللأدب أعلامه .

مات الملك فؤاد ، ولم تمت أعماله وذكرياته ، فهذه الجامعة الأزهرية ، وتلك جامعته المصرية وهذى جوائزه ، وتلك مآثره ، تشهد بعظيم فضله وسابغ عنايته بالعلم وأهله ، فاذا كان هيروديت المؤرخ اليونانى يقول : « مصر هبة النيل » ويعنى مصر الزراعية ، فانا نقول منصفين « مصر هبة فؤاد » ونعنى بها مصر العلمية .

المواريث الاسلامية

هـذا كتاب جليل الفائدة ، سهل المـأخذ ، وضعه حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ المفضال الشيخ احمد كامل الخضرى المدرس بـكلية الشريعة قال فى مقدمته:

« وبعد ، فقد عهد الى بتدريس علم الفرائض لطلاب السنة الثالثة بكلية الشريعة الاسلامية بالجامعة الأزهرية سنة ١٣٦٤ هـ — الموافق سنة ١٩٤٥ م .

« فرأيت أن ضع كتابا فى هذا العلم يشتمل على ما هو مقرر على الطلاب من كتاب منهاج الطالبين للإمام أبى زكرياء محي الدين بن شرف النووى رحمه الله وشرحه للعلامة جـلال الدين المحلى رحمه الله . وهو من أوسع الـكتب المحررة المعتمدة فى فقه الشافعية ، مع زيادات مفيدة لا بد منها لمن يريد الوقوف على أسرار هذا العلم ومعرفة قواعده وآدابه .

شاءت الارادة الإلهية ، وقد انتقلت بالمليك الراحل الى جوار ربه ، أن تعزى المصابين عن فقده ، بخلفت من بعده مولانا المليك الصالح (فاروقا الأول) رمز الوطن وعزته ، وسيد الوادى ورمز وحدته، وحامي الأزهر وراعي رسالته ، فأكمل البناء ، وشيد وشاد ، وسقى شجرة العلم حتى آتت أكلها من كل الثمرات . ولا غرو فالفاروق ابن فؤاد ، والولد سر أبيه ، والفاروق حفيد عزيز مصر اسماعيل ، وسليل الأسرة العلوية الـكريمة ، التى اقترن تاريخها فى مصر بالنصر والتأييد ، والاصلاح والتجديد .

حضرة صاحب السعادة المندوب الملـكى :

باسم إخوانى طلبة الجامعة الأزهرية أرجو أن ترفعوا الى مقام حضرة صاحب الجلالة ، فى هذه المناسبة ، أصدق عبارات الولاء ، من قلوب مؤمنة بحبه ، مخلصه لعرشه ، هاتفة باسمه ، تؤمل الخير الـكثير على يدى جلالته ، ملتمسة أن تستمر رعايته للأزهر ، حتى ينال حقوقه وقد أدى واجبه .

أما أنتم أيها الازهريون ، فاهتفوا من قلوبكم : رحم الله فؤاد ، وأدام الله فاروق ، وأعزه وأعز به ! والسلام عليكم ورحمة الله ؟

المواريث الاسلامية

هـذا كتاب جليل الفائدة ، سهل المـأخذ ، وضعه حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ المفضال الشيخ احمد كامل الخضرى المدرس بـكلية الشريعة قال فى مقدمته:

« وبعد ، فقد عهد الى بتدريس علم الفرائض لطلاب السنة الثالثة بكلية الشريعة الاسلامية بالجامعة الأزهرية سنة ١٣٦٤ هـ — الموافق سنة ١٩٤٥ م .

« فرأيت أن ضع كتابا فى هذا العلم يشتمل على ما هو مقرر على الطلاب من كتاب منهاج الطالبين للإمام أبى زكرياء محي الدين بن شرف النووى رحمه الله وشرحه للعلامة جـلال الدين المحلى رحمه الله . وهو من أوسع الـكتب المحررة المعتمدة فى فقه الشافعية ، مع زيادات مفيدة لا بد منها لمن يريد الوقوف على أسرار هذا العلم ومعرفة قواعده وآدابه .

شاءت الارادة الإلهية ، وقد انتقلت بالمليك الراحل الى جوار ربه ، أن تعزى المصابين عن فقده ، بخلفت من بعده مولانا المليك الصالح (فاروقا الأول) رمز الوطن وعزته ، وسيد الوادى ورمز وحدته ، وحامي الأزهر وراعي رسالته ، فأكمل البناء ، وشيد وشاد ، وسقى شجرة العلم حتى آتت أكلها من كل الثمرات . ولا غرو فالفاروق ابن فؤاد ، والولد سر أبيه ، والفاروق حفيد عزيز مصر اسماعيل ، وسليل الأسرة العلوية الـكريمة ، التى اقترن تاريخها فى مصر بالنصر والتأييد ، والاصلاح والتجديد .

حضرة صاحب السعادة المندوب الملـكى :

باسم إخوانى طلبة الجامعة الأزهرية أرجو أن ترفعوا الى مقام حضرة صاحب الجلالة ، فى هذه المناسبة ، أصدق عبارات الولاء ، من قلوب مؤمنة بحبه ، مخلصه لعرشه ، هاتفة باسمه ، تؤمل الخير الـكثير على يدى جلالته ، ملتمسة أن تستمر رعايته للأزهر ، حتى ينال حقوقه وقد أدى واجبه .

أما أنتم أيها الازهريون ، فاهتفوا من قلوبكم : رحم الله فؤاد ، وأدام الله فاروق ، وأعزه وأعز به ! والسلام عليكم ورحمة الله ؟

مكتبتنا العربية

« وقد راعيت فيه حسن الترتيب والتبويب وسهولة الأسلوب ، ووضوح العبارات ، ليعم النفع به ، ويسهل الأخذ منه » .

ثم ذكر فضيلة الأستاذ أنه ذكر حكم المذاهب الأربعة في كثير من المسائل ، وأحوال كل وارث ، وأحوال اجتماع الجد والأخوة ، وحساب المسائل ، وتقسيم التركات ، والتأصيل والتصحيح وغيرها ، ووضع جدول المواريث المشهور ، وقانون المواريث الجديد . فجاء هذا العمل كافيا في هذا الباب كفاية تغنى عن الرجوع لغيره .

وإننا نشكر لفضيلة المؤلف ما بذله من جهود والعناية والدقة في وضع هذا الكتاب ، وأجمل ما كوفىء به أنه جاء موفيا بالغرض ، فله من الله الأجر ومنا الشكر والثناء .

القضايا الكبرى في الإسلام

هذا كتاب طريف وجليل الفائدة معا ، موضوعه عرض القضايا الكبرى التي حدثت في الاسلام من أول مؤامرة المنافقين في عصر النبي صلى الله عليه وسلم على المهاجرين ، إلى قضية كتاب الشعر الجاهلي للأستاذ الكبير طه حسين بك ؛ وقد اعتمد حضرة صاحب الفضيلة المؤلف الشيخ عبد المتعال الصعيدي على أصدق المراجع فيها ، فكان ما كتبه عنها ، معرضا بديعا للمبادئ الاسلامية ، والأصول الفقهية ، يتخللها نبذ تاريخية ، وحوادث سياسية ، ومنازعات طائفية ، وشئون أدبية ، وظاهرات اجتماعية ، يتراءى بعضها في كتب العلم والأدب ، ولا سبيل إلى الحصول على مجموعها في كتاب واحد . فرأى فضيلة المؤلف أن يجمع بين متفرقها ، وأن يعرف بها العالم القارئ في أوفق الأوقات للاطلاع عليها ، والعالم في مضطرب المبادئ ، ومزدحم المذاهب . وقد أحسن الأستاذ كل الاحسان في جمعها وترتيبها وعرض موضوعاتها ، فجاءت أطروفة علمية أدبية يضطر مقتنيها لمطالعتها كلها ، فيكتسب من وراء ذلك فوائد من كل ضرب من ضروب المعرفة .

فنشكر لفضيلة الأستاذ ما بذله من جهد في تأليف هذا السفر الضخم الحافل بالمعارف القيمة في معرض يشوق القارئ ويلذه في وقت معا .